الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف ـ ميلة ـ

معهد الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

التحليل الصوتي لقصار السور في القرآن الكريم

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللسانيات التطبيقية

إعداد الطالب:

- سليمان بوبكري

إشراف الدكتور:

* سليم مزهود

السنة الجامعية: 2018/2017

شكر وعرفان

الفضل والشكر والحمد لله من قبل ومن بعد.

وأتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ القدير المشرف

الدكتور: « **سليم مزهود** »

مقدمة

مقدمة:

إن القرآن الكريم عظيم في تلاوته، معجز في معاني آياته، بليغ فصيح في صوره وبنائه، يتطلب الكثير من التدبر والتأمل والبحث العميق، معجز في كل شيء وبخاصة لغته وفواصل آياته وبناء أصواته.

ويتعلق الجانب في الصوتي في القرآن الكريم بأسلوبه المبهر البليغ الفصيح، إذ استثمر القرآن الكريم اللغة العربية بما فيها من طاقات فنية في تشكيل بنية إيقاعية منظمة وهادفة في أداء معانيه الدينية.

وهذا ما جعلني أخوض في غمار هذا البحث الموسوم: (التحليل الصوتي لبعض قصار السور في القرآن الكريم).

وقد واجهتني صعوبات كثيرة، كيف لا، وأنا أتعامل مع آيات النص المقدس، القرآن الكريم، كتاب الله تعالى ورسالته إلى العالمين.

والسؤال المطروح هو: فيمَ تمثل الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم؟

وللإجابة عن هذا السؤال التجأنا إلى التزام المنهج الوصفي التحليلي، وفق خطة البحث المختارة، إذ بدأنا المذكرة بمقدمة ثم فصلين، ثم خاتمة.

وقد تناول الفصل الأول؛ مفهوم القرآن الكريم وفضائله وأثره على النفس الإنسانية، وأما الفصل الثاني فتناول الجانب الصوتي في القرآن الكريم، بالتركيز على جمال فواصله في قصار السور.

إني إثر تقديم هذه المذكرة أقدم الشكر الجزيل لأستاذي المشرف الدكتور سليم مزهود، على نصائحه وتوجيهاته القيمة، ووقوفه إلى جانبي في أوقات الشدة خصوصا، والشكر موصول للأساتذة الكرام، لجنة المناقشة. والله ولي التوفيق.

الفصل الأول؛ القرآن الكريم، تعريفه وفضائله وأثره على النفس الإنسانية

أولاً : تعريف القرآن لغة واصطلاحًا :

أ – تعريف القرآن لغة: القُرآن: التنزيل العزيز، وانما قُدِّمَ على ما هو أَبْسَطُ منه لشَرفه. قَرَأَهُ يَقْرَؤُهُ ويَقْرُؤُهُ، الأَخيرة عن الزجاج، قَرْءاً وقِراءَةً وقُرآناً، الأُولى عن اللحياني، فهو مَقْرُوءٌ. أَبو إِسحق النحوي: يُسمى كلام الله تعالى الذي أَنزله على نبيه، – ﷺ –، كتاباً وقُرْآناً وفُرْقاناً، ومعنى القُرآن معنى الجمع، وسمي قُرْآناً لأَنه يجمع السُّوَر، فيَضُمُّها. وقوله تعالى: إِنَّ علينا جَمْعه وقُرآنه، أَي جَمْعَه وقِراءَته، فإِذا قَرَأْنَاهُ فاتَّبِعْ قُرْآنَهُ، أَي قِراءَتَهُ. قال ابن عباس رضي الله عنهما: فإِذا بيَّنَّاه لك بالقراءَة، فاعْمَلْ بما بَيَّنَّاه لك[1]

ب – تعريف القرآن في الاصطلاح : هو (كلام الله المنزل على نبيه محمد – ﷺ – ، المعجز بلفظه، المتعبد بتلاوته، المنقول بالتواتر، المكتوب في المصاحف، من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس) [2].

ثانيًا : فضائل تعلم القرآن وتعليمه :

لقد رغب الإسلام في تعلم العلم وتعليمه عامة ، وجعل ذلك من أفضل العبادات ، ولا شك أن أفضل العلوم وأشرفها وأجلها هو كتاب الله تعالى .

وقد حرص السلف الصالح على تعلم القرآن وتعليمه ، وعُرف هذا الحرص في سلوك خيارهم وأصفيائهم ؛ وذلك لأنهم استشعروا فضائل القرآن والأجر المترتب على تعليمه وتعلمه في الدنيا والآخرة ، وقدوتهم في ذلك هو نبينا محمد – ﷺ – ، الذي أنزل عليه القرآن ، فهو أعرف الناس بمنزلته وفضله .

وفضائل القرآن تنقسم إلى قسمين: فضائل عامة لجميع آيات وسور القرآن، وفضائل خاصة، في بعض سور وآيات من القرآن الكريم؛ مثل قراءة آية الكرسي، والآيتين الأخيرتين من سورة البقرة ، والفاتحة، والمعوذتين، وغيرها ، كما دلت السنة على ذلك، وسأقتصر على الفضائل العامة ، بذكر أمثلة فقط :

1– ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، لبنان، ط:1، 2002، ج1، ص:128

2– فرشوخ: المدخل إلى علوم القرآن والعلوم الإسلامية. ص: 11 .

1- قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ * لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ) فاطر(آية: 30، 29)

أخبر الله تعالى في هذه الآية عن عباده المؤمنين ؛ أنهم يتلون كتاب ربهم ، ويداومون على تلاوته ، ويعملون بما فيه من إقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والإنفاق سرًا وعلانية، راجين من الله ثوابًا عظيمًا ، وأعظمه رضا ربهم ، والفوز بجزيل ثوابه ، والنجاة من سخطه وعقابه[1]

2- قال تعالى : (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ) الاسراء(آية:9)

يخبر تعالى عن شرف القرآن ، وأنه يهدي ويرشد إلى أحسن وأعدل الأمور في كل شيء في هذه الحياة .

3- قال تعالى : (وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَارًا) الاسراء(آية:82)

يخبر تعالى أن القرآن شفاء ورحمة كله – وليس بعضه – للمؤمنين العاملين الصادقين، أما غيرهم فإنه لا يزيدهم إلا خسارًا ، وهذا الشفاء عام لكل مرض من أمراض القلوب ؛ من الشُّبَه ، والجهالة ، والآراء الفاسدة ، والانحراف السيء ، وشفاء للأبدان من آلامها وأسقامها؛ لما فيه من الوسائل والأسباب المؤدية إلى الرحمة والفوز والسعادة الأبدية ، والثواب العاجل والآجل[2]

4- عن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله – ﷺ – : (من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول (ألم) حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف) [3]

1- ينظر : تفسير السعدي ، ص 635 .

2- تفسير السعدي ، ص 416

3- رواه الترمذي ، كتاب فضائل القرآن (175/5) .

ودل هذا الحديث العظيم على عظيم فضل الله تعالى ، وأنه جعل بكل حرف عشر حسنات ، فكلما أكثر المسلم من قرآة القرآن ازدادت حسناته ، فلا يفوت المسلم على نفسه هذا الأجر العظيم والخير الكثير .

5 – عن عثمان بن عفان – رضي الله عنه – ، عن النبي – ﷺ – قال : (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) [1]. فهذه شهادة حق لأهل القرآن بأنهم خير الناس وأفضلهم ، لأن تعلم القرآن والقيام بتعليمه من أفضل الأعمال ، وأجل القرب ، ويحظى متعلمه ومعلمه بالخير والفضل في الدنيا والآخرة .

6 – عن عقبة بن نافع – رضي الله عنه – قال : خرج رسول الله – ﷺ – ونحن في الصفة، فقال : (أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان أو إلى العقيق ، فيأتي منه بناقتين كوماوين في غير إثم ولا قطع رحم ؟)، فقلنا : يا رسول الله ؛ نحب ذلك . قال : (أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيَعْلَم أو يَقْرَأَ آيتين من كتاب الله – عز وجل – خير له من ناقتين، وثلاث خير له من ثلاث ، وأربع خير له من أربع ومن أعدادهن من الإبل) [2].

فدل هذا الحديث الجليل على الحث على قصد بيوت الله ؛ لتعلم القرآن ؛ لما فيها من السكينة والطمأنينة ، وقطع علائق القلب عن شواغل الدنيا ، وبين أن آية واحدة يتعلمها خير له الدنيا وما فيها .

أثر الإيمان الصادق بدلالة آيات القرآن:

إن الإيمان بالله تعالى وآياته وما أنزله في كتابه عقيدة راسخة في قلب كل مؤمن ومؤمنة، فلا يكون العبد مؤمنًا إلا إذا آمن بهذا القرآن العظيم وعمل بما فيه ، والإيمان بالكتب السماوية التي أنزلها الله على أنبيائه ورسله ركن من أركان الإيمان ، وأعظم هذه الكتب وأفضلها القرآن الكريم ؛ لأنه شامل لكل ما في هذه الكتب وزيادة .

والمتأمل في قوة تأثير القرآن؛ يجد أنه قد بلغ مبلغًا عظيمًا؛ فهو جامع بين قوة الإيمان، وتدفق البلاغة، وروعة البيان، وقوة الخطاب، وعذب الكلام ، وهو النور المبين، والسراج

1– صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه ، حديث (5027) .

2– صحيح مسلم ، حديث (803) .

المنير ، لما سمعته الجن قالوا : (إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا) الجن (آية:1، 2)، فجمعوا بين الإيمان والتقوى ، المتضمن لجميع أعمال الخير ، وترك أعمال الشر ، وجعلوا السبب الداعي لهم إلى الإيمان وتوابعه ؛ ما علموه من إرشادات القرآن ، وما اشتمل عليه من المصالح والفوائد ، واجتناب المضار ؛ فإن ذلك آية عظيمة ، وحجة قاطعة لمن استنار به ، واهتدى بهديه .

وقد أقر بعظمة هذا القرآن وتأثيره فصحاء العرب وبلغاؤهم ، فأثر في بعضهم وغيَّر في حالهم من جهل إلى علم، ومن شرك إلى توحيد، ومن فرقة وفوضى ، إلى اجتماع وائتلاف، فدخل الناس في دين الله أفواجًا ، وازداد المؤمنون إيمانًا ، واطمأنت نفوسهم ، واستبشرت قلوبهم، قال تعالى:

(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) الأنفال (آية:2)

وهكذا؛ فإن قوة تأثير القرآن تعتبر وجهًا من أوجه الإعجاز في الكتاب العزيز، قال تعالى : (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاء وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) الزمر (آية: 23)

ولقد أيد الله رسوله – ﷺ – بالقرآن ، وأمره أن يدعو به ، ويعتمد عليه ؛ لأن له تأثيرًا عظيمًا في النفوس ، ومن تلكم الآيات التي تبين الآثار الدنيوية والأخروية لمن تأمل وتدبر هذه الآيات :

1 – قال تعالى : (كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلاَ يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ) الأعراف(آية:2) ،فهو خطاب من الله لرسوله – ﷺ –؛ لينذر الكافرين بالقرآن، ويذكر به المؤمنين؛ لأنهم هم المنتفعون بهديه ، والمتأثرون به ، ولأنه حوى كل ما يحتاج إليه العباد في الدنيا والآخرة ، فعلى من دعا الناس بالقرآن أن لا يكون في صدره حرج وضيق، وشك واشتباه؛ لأنه كتاب الله، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فلينشرح به صدره، ولتطمئن به نفسه، وليصدع بأوامره ونواهيه، ولا يخشى لائمًا أو معارضًا.

2 – وقوله تعالى : (وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً) الاسراء (آية: 106)، أنزل الله – عز وجل – القرآن الكريم على رسوله – ﷺ – مفرقًا على حسب الوقائع والأحداث ؛ ليقرأه على الناس ويبلغهم إياه على مهل ؛ ليدبروا آياته ، ويؤمنوا به ، وكذلك ينبغي على كل من يبلغ الاقتداء برسول الله – ﷺ – ، ويدعوهم إليه على مهل ؛ ليتأثروا بما فيه من حكم ومنافع .

3 – وقوله تعالى : (وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ) التوبة (آية: 6)، فقوله : حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللهِ ، أي : القرآن تقرؤه عليه ، وتذكر له شيئًا من أمر الدين تقيم عليه حجة الله ، ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ)، أي وهو آمن مستمر الأمان حتى يرجع إلى بلاده ومأمنه ، فلو لم يكن القرآن له تأثير بالغ في قلوب سامعيه؛ لم يكن هو الحد الفاصل لنهاية إجارة المشركين[1] .

4 – وقوله تعالى : (فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ) ق(آية:45)، أي: فذكر بهذا القرآن وما فيه من حكم ومواعظ كل مؤمن يخاف من عذاب الله ووعيده ؛ لأنه يهز القلوب ويجعلها تخاف من شدة الوعيد إن لم تؤمن بالقرآن وتعمل بما فيه ، فهو أعظم سلاح في تذكير الناس ورجوعهم إلى الله تعالى .

5 – وقوله تعالى : (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا * وأَنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) الاسراء(آية:9،10)

يخبر تعالى عن شرف القرآن، وأنه يهدي للتي هي أقوم؛ أي أعدل وأعلى، من العقائد والأعمال والأخلاق، فمن اهتدى به كان أقوم الناس في جميع أموره ، ويبشر كل مؤمن عمل الصالحات من الواجبات والسنن أن له أجرًا كبيرًا أعده الله لهم في دار كرامته، لا يعلم وصفه إلا هو ، وأن من أعرض عنه ولم يؤمن باليوم الآخر استحق العذاب الأليم[2]

---

(1) انظر

1– محمود الدوسري: عظمة القرآن الكريم. ص: 327 ، 328 .

2– تفسير السعدي، ص:417

فالقرآن الكريم اشتمل على بشارة ونذارة، وأن الأسباب التي ينال بها العبد البشارة هي الإيمان والعمل الصالح، والتي يستحق بها النذارة هي غير ذلك .

ما سبق من الآيات يكفي للدلالة على أثر الإيمان الصادق المتبع للإخلاص والعمل الصالح والحياة الطيبة في الدنيا ، والأجر العظيم في الآخرة ؛ لأن القرآن لا يخبر إلا بأجلِّ وأعظم الإخبارات التي تملأ القلوب معرفة وإيمانًا وعقلاً ، كالإخبار بأسماء الله وصفاته وأفعاله ، والغيوب المتقدمة والمتأخرة ، وأوامره ونواهيه التي تزكي النفوس وتطهرها وتنميها وتكملها ؛ لاشتمالها على كمال العدل والقسط والإخلاص والعبودية لله رب العالمين ، وحده لا شريك له ، فله الحمد سبحانه على إنزاله لهذا القرآن العظيم[1] .

أثر دعوة الرسول – ﷺ – بالقرآن:

كان الرسول – ﷺ– يدعو إلى الله بالقرآن العظيم بقوله وعمله وهديه، ولما سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه قالت: كان خلقه القرآن. أي إنه يتمثل القرآن في أموره جميعًا، وفي أحواله وأقواله وأفعاله؛ فيقف عند حدوده، ويتأدب بآدابه، ويعتبر بأمثاله وقصصه، وهذه بعض النماذج للدعوة بالقرآن العظيم وتأثيره في نفوص المدعوين:

1 – شأن دعوة الرسول – ﷺ – للملوك والرؤساء بالقرآن، ومن ذلك الكتاب الذي أرسله الرسول عليه الصلاة والسلام إلى ملك الروم هرقل : (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد ...

فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم ، يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن أبيت فإن عليك إثم الأريسيّين . قال تعالى: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) آل عمران (آية:64) [2]

1– تفسير السعدي ، ص 419 .

2– صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، حديث (4553)

إن دعوة الناس بالقرآن ؛ سواء أكانوا مسلمين أو غير مسلمين ، وسواء أكانوا من عامة الناس أو من ملوكهم ليؤثر في نفوسهم أشد التأثير ؛ فهذا النجاشي[1] لم يملك نفسه عند سماع آيات القرآن حتى بكى وخضع من تأثره به .

2 – وللقرآن الكريم أثر بالغ في قلوب أعدائه وخصومه ، فانظروا إلى تلكم الآيات التي قرأها الرسول – ﷺ – على عتبة بن ربيعة من أوائل سورة فصلت إلى قوله : (فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ) فصلت(آية:13) ، فأوقفه عتبة من شدة ما تأثر به ، حتى قال لأصحابه : خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه ؛ فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ . فقالوا له : سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه[2]

وهكذا من يسمع الآيات من القرآن يخلع قلبه ويقلق ، وما منع هؤلاء من الاستجابة إلا الكبر والعناد، ولأنهم يعلمون ما يصيبهم عند سماع القرآن من تأثير وإحساس بالغ ، لهذا قال الله تعالى عنهم : (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ) فصلت (آية:26).

3 – كما كان عليه الصلاة والسلام يذكر أصحابه بالقرآن من خلال الخطب والصلوات، فعن أم هشام بنت حارثة بن النعمان قالت : لقد كان تنّورنا وتنّور رسول الله – ﷺ – واحدًا سنتين أو سنة وبعض سنة ، وما أخذت سورة (ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ) ق(آية:1)، إلا عن لسان رسول الله – ﷺ –؛ يقرؤها كل يوم جمعة على المنبر إذا خطب الناس [3] . وعن جبير بن مطعم – رضي الله عنه – قال : سمعت رسول الله – ﷺ – يقرأ في المغرب بالطور ، فلما بلغ : (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ * أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ) الطور(آية:35 إلى37) كاد قلبي أن يطير[4]

1– ملك الحبشة ، كان رجلاً صالحًا ، وعالمًا عادلاً ، اسمه : أصحمة بن أبجر ، توفي سنة 9هـ . السيرة، لابن كثير

2– ابن كثير: البداية النهاية. ج: 3، ص:273 .

3– صحيح مسلم ، كتاب الجمعة ، حديث (2009)

4– صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، حديث (4853) .

ولا عجب في ذلك ؛ لأن تأثيره كبير وعظيم ، وكثرة الصلاة مما يعين العبد على تدبر الآيات والتأمل فيها إذا استحضرها، وخلا قلبه من الوساوس والملهيات .

أثر القرآن الكريم على النفس الإنسانية:

إن للقرآن العظيم أثرًا عظيمًا في حياة المسلم ؛ فهو غذاء للروح والقلب والعقل ، فلا وجود للإنسان بغير الروح والقلب والعقل ، ولا حياة له ولا منزلة بغير القرآن ؛ فهو حياة وشفاء ؛ لأن فيه كل ما يحتاجه المسلم في حياته العامة والخاصة ، والدين والدنيا ؛ فهو شامل للعقائد والعبادات والمعاملات والتكاليف والأحوال والأحكام ، وغيرها ، وكذلك بما يتصل ببناء المجتمع في نواح شتى ، وهو يهدي الناس جميعًا للتي هي أقوم ؛ في دينهم ودنياهم وأخراهم ، وذلك لمن قرأه قراءة متأمل متدبر ، فلا شك أنه سيكون له تأثير عظيم في حياة المسلم كلها ، وسببًا رئيسًا لنجاته وفوزه ، قال تعالى : (قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى) طه (آية:123، 124) ومما يدعو إلى هذا التأثر بالقرآن تدبره، والعمل به المؤدي إلى رضوان الله تعالى ، وهذا لا يحصل إلا إذا كانت قراءة القرآن بالتدبر والتأمل في الآيات ، والتفكر فيها وما دلت عليه هذه الآيات ؛ لكي يحصل التأثر والتغيير السوي ، ومما يعين على تدبر القرآن ما يلي :

1 – حب القرآن ؛ لأن القلب هو آلة الفهم والعقل ، وهو بيد الله وحده ، يفتح متى شاء، ويغلقه متى شاء بحكمته وعلمه ، قال تعالى: (وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ) الأنفال(آية: 24) ، وإذا أحب القلب شيئًا تعلق به ، واشتاق إليه ، والقلب إذا أحب القرآن تلذذ بقراءته ، واجتمع على فهمه ووعيه ، فيتحصل بذلك التدبر والفهم ، وبالعكس إذا لم يوجد الحب ، فيكون إقبال القلب على القرآن صعبًا ، ولا يحصل الانقياد إليه إلا بالمجاهدة والمغالبة . فتحصيل حب القرآن من أنفع الأسباب لحصول أقوى وأعلى مستويات التدبر .

ومن الأسباب المعينة على التدبر أيضًا : استحضار أهداف قراءة القرآن من ثواب ومناجاة وشفاء ومسألة وعلم وعمل ، فمتى ما كان المسلم مستحضرًا عند قراءته للقرآن هذه المقاصد ، حصل الانتفاع بالقرآن ، ووصل إلى بر الأمان في كل ما يتعلق من أمور الدنيا

والآخرة ، فتلاوته من أفضل الأعمال ، وكل حرف منه بعشر حسنات ، والحسنة بعشر أمثالها .

ومن الأسباب أيضًا: القيام بالقرآن وخلوه به في صلاته ، ووقوفه بين يديه ، لقوله تعالى: (وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا) الاسراء(آية:79)، وقوله : (أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ) الزمر(آية:9)، فاجتماع القرآن مع الصلاة ينتج عنه حياة القلب ، وصحته، وقوته، وخاصة إذا فرغ قلبه عن كل الشواغل والصوارف التي تصرفه عن تدبر الآيات؛ فإنه سيحصل له بإذن الله التأثر الواضح ، والانتفاع البين[1].

فهذه بعض الأسباب المعينة على تدبر القرآن، إذا أخذ بها القارئ، واستمر عليها دائمًا عند قراءته؛ فإنه سيستقيم بإذن الله، ويداوم على الأعمال التي يحبها الله ويرضاها، ويجتنب كل ما يبغضه الله من الأعمال ويكرهه .

قال تعالى : (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ) البقرة(آية:121) ، وحق تلاوته هو الفهم للقرآن وتدبره ، والتأثر به ، واتباعه ، وإقامته، والاعتصام به ، والثبات عليه، بقوة، وتبليغه للناس ، وتبيينه لهم ، والتأدب معه ، والعمل به .

1- خالد اللاحم: مفاتيح تدبر القرآن

الفصل الثاني؛

جمال الفاصلة القرآنية في قصار السور

جمال الفاصلة في القرآن:

الفاصلة من المظاهر الصوتية التي تشكّل لوحة جمالية تعطي النص القرآني ميزة الإعجاز في الأداء. فهي لا تقف عند المستوى الصوتي والدلالي بل تتّصل بمستويات أخرى كالمستوى النحوي والبلاغي. وقد ساهمت في اختيار الكلمات القرآنية التي تثري السياق، وتقوي بنية القراءة القرآنية لإبراز جمال النص القرآني من منابعه اللغوية التي تكسبنا القدرة على التذوق، وتوصلنا إلى صورة مثالية مقنعة لإدراك عظمة كتاب الله.

ونلمس فيها إيحاءات سامية تنبعث من عنصرين: سمو النص القرآني، والمشاركة الوجدانية لدى المتلقي الذي يجد لمسات دقيقة، ومنهجا منفردا يتجلّى في الوضوح وصدق التصوير. فالفاصلة حقيقة أدركها القدامى في اللغة، وعرفوا قيمتها في تأدية وظيفتها الأدبية التي تكمن في كيفية النطق، ووظيفة دلالية تتجلّى في معرفة المعاني المتباينة.

الإعجاز القرآني في الفاصلة:

عهد العرب الكلام شعرا ونثرا وما هو بين القافية والسجع. والمتأمّل في كتاب الله يجد أنّه جاء على صورة لم يألفوها، بل نزل بأسلوب بديع فصلت آياته "ولكل آية مقطع تنتهي به هو الفاصلة، وليست الفاصلة قافية شعر ولا حرف سجع وإنما هي شاهد قرآني لا يوجد إلا فيه، ولا يعتدل في غيره."[1]

ويقصد بالفواصل رؤوس الآيات، والغاية هي تحقيق التشابه كما هو الشأن في القوافي.

والفاصلة من الناحية البلاغية أقرب إلى مفهوم القافية في الشعر، والسجع في النثر من جهة تشابه الحروف أو تقاربها في المخرج، ولكنّها تختلف عنهما من جهة المقصد والمرجعية.

اهتمّ القدامى بها لارتباطها بالقرآن الكريم وكتبوا فيها رغم اختلاف اتجاهاتهم، فمنهم من أفرد لها فصلا كالرماني في كتابه (النكت في إعجاز القرآن) والباقلاني (إعجاز القرآن). ومنهم من عقد لها فقرات كالفراء (معاني القرآن)؛ وأبي عبيدة (مجاز القرآن)، "ومنهم من

1- مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن، دار مسلم، الرياض، ط2، 1416هـ، ص142

كتب كتابا خاصا كالطوفي وهو (بغية الواصل إلى معرفة الفواصل)، فعنوان الكتاب يدل على اهتمام الطوفي بالجانب العلمي للفواصل، أي معرفتها عن طريق التوقيفي والقياسي اللذين تناولهما القدامى مثل الزركشي"[1]. ومن الأوائل الذين تناولوا الفاصلة الخليل "لصها بطل دقل أي تمر، إن كثر الجيش بها جاعوا، وإن قلوا ضاعوا"[2]. ففي النص ما يوحي إليها.

أمّا المحدثون فحاولوا الإتيان بالجديد في موضوع الفاصلة ومنهم الرافعي الذي تطرّق إليها في ثلاثة مواضع: الحروف وأصواتها، أسلوب القرآن، والكلمات. هذا كلّه في كتابه تاريخ آداب العرب. في هذه المواضع، تبدو عناية الكاتب بالجزئيات وتحليلها، واستثمارها البالغ للثقافة الإسلامية لاسيما علم التجويد "وإن كان لا يخلو من نظرات عصرية، كانتباهه إلى مسألة (الاستهواء الصوتي) والبعد الموسيقي للنص القرآني"[3]. كذلك إبراهيم أنيس في كتابه (موسيقى الشعر) وإن كان له موقف خاص "فليس بعيب القرآن أن نحكم على أن في ألفاظه موسيقى كموسيقى الشعر والقوافي كقوافي الشعر والنثر بل تلك الناحية من نواحي الجمال فيه"[4]

واختلف العلماء في استعمال المصطلح فمنهم من تجرّأ فوظّف كلمة السجع كالنظّام، وأثبتوه في القرآن، وهذا زعم باطل لأنّ السجع مأخوذ من سجع الحمام ويوصف به الكهان الذين كانوا يوهمون الناس أنهم يعلمون الغيب به.

ومنهم من لم يفرق بينهما كابن سنان الخفاجي في كتابه سر الفصاحة "فإنه إن أراد بالسجع ما يتبع المعنى، وكأنها غير مقصود فذلك بلاغة، والفواصل مثله. وإن أراد به ما

1- محمد الحسناوي، الفاصلة في القرآن، دار عمار، الأردن، 1403هـ، ط2، ص52.

2- الخليل، العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، بغداد، 1981، ص244.

3- محمد الحسناوي، الفاصلة في القرآن، ص65.

4- إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر مكتبة انجلو المصرية، القاهرة ط2، 1952، ص306.

تقع المعاني له، وهو مقصود ومتكلف، فذلك عيب، والفواصل مثله"[1]. فالفرق واضح بينهما، فالفواصل تتحكّم فيها لدلالة عكس السجع .

وأثبت القرآن حقيقتها لقوله تعالى: "كِتَابٌ فُصّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ" (سورة فصلت؛ الآية 3). وسايرت القراءات القرآنية هذا التلوين الصوتي وراعاه القراء لأنّه جزء من الآية وتحقّق الرنّة الصوتية، ويظهر جمال المعاني، وترسّمها عند التلاوة حسب المقام إما للتبشير أو للنذير. وسلك القراء في تحقيق تناسقها واختيار البناء المناسب للكلمات، "وحينما يقع التغاير القرائي في حركات بنية اللفظ يؤثر بعض القراء البناء الذي يحقق توافق الفواصل، ويقتضيه تناغم الإيقاع فيما بينهما"[2]

مصطلح الفاصلة في القرآن الكريم:

اشتقَّ لفظ الفاصلة من الآيات القرآنية الآتية[3]:﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (فصلت.الآية:3)، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيّاً لَقَالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ (فصلت:الآية:44)، ولا يجوز تسميتها قافية إجماعاً، لأن الله لما سلب عن القرآن اسم الشعر، وجب سلب القافية عنه أيضاً لأنها منه، وخاصة في الاصطلاح[4]

وتكمن أهمية الفاصلة القرآنية في كونها عنصراً مهماً في تأمل الآية القرآنية وما تؤديه من وظيفة أسسها الايقاع الموسيقي في الآيات القرآنية[5]..

ويتمثل أثر الفاصلة في إعطاء الآية جرساً موسيقياً مناسباً، لذا عني القرآن بتوافقها في كثير من السور والآيات[6].

1- بن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، شرح وتحقيق: عبد المتعال الصعيدي، مطبعة محمد صبيح وأولاده، القاهرة، 1969، ط1، ص166.

2- سعد محمد، التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، مكتبة الآداب القاهرة مصر1418هـ، ط1، ص507

3 - **السيوطي**: الإتقان في علوم القرآن. ج:2، ص: 96

4 - ينظر: **السيوطي**: الاتقان في علوم القرآن. ج:3، ص:292

5 - **ينظر: مزهود** (سليم): الخطاب القرآني في النص القرآني، البنية والأبعاد الدلالية. أطروحة دكتوراه، (غير منشورة) كلية الآداب واللغات، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة، نوفمبر 2016، **ص**:77

6 - **الزيدي** (المرجع نفسه. ص:78)

ويرجع اهتمام العلماء بالفاصلة القرآنية لكونها النوع الذي يباين القرآن به سائر كلام العرب، إذ إنَّ الفاصلة ترتفع عن قيود القافية وسجع النثر، لينفرد بها القرآن الكريم فيتميز بها، ومحلها (أواخر الآيات في كتاب الله عز جل) [1].

وقد اختلف العلماء في تسمية آخر الآيات بالفاصلة، إذ سماها بعضهم سجعا وعارض لفظَ السجعِ آخرون، إذ إن القرآن مترفع عن السجع لما فيه من تكلف، لاسيما وأن كثرة السجع تعد عيبا، بينما تعد الفاصلة كلما كثرت بلاغة[2].

ولا يسمى سجعاً ما ورد في القرآن متناسقَ حروف الروي والإيقاع، موحدَ خاتمة الفاصلة، بل يسمى فاصلة، (ولو كان القرآن سجعاً لكان غير خارج عن أساليب كلام العرب، ولو كان داخلاً فيها لم يقع بذلك إعجاز، ولو جاز أن يقال: هو سجع معجز لجاز أن يقولوا: شعر معجز، فكيف والسجع مما كان تألفه الكهان من العرب ونفيه من القرآن أجدر بأن يكون حجة من نفي الشعر، لأن الكهانة تنافي النبوّات بخلاف الشعر) [3].

وقد استبعد العلماء القدماء والمحدثون تسمية الفاصلة سجعا أو قافية، تكريما للقرآن الكريم، وترفعا أن يقاس على منظوم الناس.

وقد ردّ ابن سنان الخفاجي (ت:466هـ) جزءا من المفاضلة بين السجع والفاصلة أثناء نقاشه عليا بن عيسى الرماني، إذ قال: (وأما قول الرماني إن السجع عيب والفواصل على الإطلاق بلاغة فغلط، فإنه إن أراد بالسجع ما تتبع المعنى، وكأنه غير مقصود فذلك بلاغة، والفواصل مثله، وإن كان يريد بالسجع ما تقع المعاني تابعة له وهو مقصود متكلف، فذلك عيب، والفواصل مثله... وأظن أن الذي دعا أصحابنا إلى تسمية كل ما في القرآن فواصل، ولم يسمّوا ما تماثلت حروفه سجعاً رغبتهم في تنزيه القرآن عن الوصف اللاحق بغيره من الكلام المروي عن الكهنة وغيرهم، وهذا غرض في التسمية قريب) [4]

---

1 – **مزهود سليم:** الخطاب الإصلاحي في النص القرآني البنية والأبعاد الدلالية. ص: 79

2 – ينظر: **الرماني** (أبو الحسن علي بن عيسى): النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن. تحقيق: محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام. دار المعارف، مصر، 1968م، ص:97–99

3 – **السيوطي:** المرجع السابق، ص:293.

4 – ابن سنان **الخفاجي:** سر الفصاحة. ص: 166

إن الحديث عن تعبير مسجوع في القرآن اكريم، ترفضه طبيعة النسق القرآني الكريم ففي قوله تعالى: ﴿ألهاكم التكاثر. حتى زرتم المقابر. كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون﴾ (التكاثر.الآية:1-4)، نشهد انتقالا من نسق تقف فيه الفاصلة عند الراء، إلى نسق آخر تقف فيه عند النون.

فاللفظ: (المقابر) يفرض ذاته فرضاً بيانياً قاطعاً، دون النظر إلى الفاصلة في الآية الكريمة، إذ إنَّ لفظ (المقابر) في حد ذاته يجعلنا نستنتج المعاني التي تناسبه في الضد، فبضدها تعرف الأشياء، فنتذكر التكاثر في الأموال والأولاد والنساء، واللذات والسلطان والقصور والخدمِ والديار، والأنهار والزورع والثمار والوسائل المادية والمراكب والحيوان، وما إلى ذلك مما يصحبه من التفاخر، والتنابز والتنافر، والتصارع والتضارب والتسابق، وهو من معاني التكاثر.

و(المقابر جمع مقبرة، والمقبرة الواحدة مرعبة هائلة، فإذا ضممنا مقبرة مترامية الأطراف الى مقبرة مثلها، ومقبرة أخرى، ازددنا رعباً وفزعاً، فإذا أصبحت مقابر عديدة؛ تضاعف الرعب والرهب، إذن هذا التكاثر الشهواني في كل شيء، يوافقه بدقة متناهية الجمع المليوني للقبور، لتصبح مقابرَ لا قبوراً، ولو قيل في غير القرآن بمساواة القبور للمقابر في الدلالة لما سدّ هذا الشاغر الدلالي شيء آخر من الألفاظ، فهو لها فحسب)[1].

نستنتج أن الصيغة البلاغية في استعمال لفظة (المقابر) لم تكن من أجل المناسبة الصوتية للتكاثر فحسب، وإنما تتعداها إلى تناسب في المعنى العميق المتشابك المتجذر.

إن الفواصل القرآنية لا تقتصر على نسق الإيقاع وانسجام النغم في الفواصل القرآنية[2]

ولا يعني هذا أن الإيقاع غير مراد، وإنما تضاف إليه الأغراض البلاغية، والمعاني الخفية والقوية، ففي قوله تعالى: ﴿فأما اليتم فلا تقهر. وأما السائل فلا تنهر﴾ (الضحى.الآية:9-10)، تقدم المفعول به الأول (اليتيم) عن عامله الفعل (تقهر) وتقدم

1 – ينظر: **مزهود** (سليم): الخطاب الإصلاحي في النص القرآني، البنية والأبعاد الدلالية، ص:79

2 – ينظر: بنت **الشاطىء** (عائشة عبد الرحمان): التفسير البياني للقرآن الكريم. دار المعارف بمصر، القاهرة، ط:1، 1998م، ج:1، ص: 207

المفعول به الثاني (السائل) عن عامله (تنهمر)، مراعاة لنسق الفاصلة من جهة ولتبيان أهمية المتقدم من جهة أخرى.

كذلك كان للحذف عند القراء دور في تحقيق توافق الفواصل لتتقارب القيمة التعبيرية مع السياق فيقع التجاوب بين اللفظ والمعنى. "كذلك كان حذف ما حقه أن يذكر في الكلام من أهم مظاهر العدول التي درجت عليها بعض الأوجه القرائية في الوقف على رؤوس الآي، وقد توسل توجيه القراءة بذلك الملحظ إلى القول بتوافق الفواصل والمناسبة بينها"[1]

كما كان للتقديم والتأخير أثر في تجسيد الفواصل، فمنهج القرآن يراد من ورائه استجلاب ما يستدعيه السياق، فيجد القارئ ما يراه مناسبا للمقام. ونبّه إليه عبد القاهر الجرجاني واستثمر القراء فائدتها البلاغية وجمالية إيقاعها، كما التمسوا في إبدال بعض الصيغ اللغوية سبيلا إلى الفواصل كجعل صيغة اسم الفاعل مكان اسم المفعول قال تعالى: "وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَداً آمِناً" (سورة البقرة؛ الآية 126). آمنا أصلها مأمونا وهذا من المجاز العقلي المتعلق بالمكان. والعكس في قوله تعالى: "وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَاباً مّسْتُوراً" (سورة الإسراء؛ الآية 45)، فأصل(مستورا ساترا)، وهذه الصيغة من أجل إظهار قدرة الله لأنّ الحجاب لا يمكن رؤيته.

وبين الإفراد والتثنية والجمع، وإبدال الألفاظ "نجد بعض القراء يفضل لفظا على آخر بسبب ما يحققه من انسجام وتلاؤم في الفاصلة، مع ما قبلها وما بعدها"[2] ، وبين الحروف طلبا للفاصلة، فالإبدال لم يقف عند جمال الإيقاع بل راعى جانب المعنى.

كما تفطّن القراء إلى علاقة الإعراب بالفاصلة محتكمين إلى ضوابط نحوية، معتمدين على التأويل ليستوي الإيقاع بين فواصل الآيات. ولها في القرآن هيكل خاص، فتعاملت مع الحرف الأخير المعروف بالرويّ في الشعر تعاملا متميزا "ولم تلتزم فواصل القرآن العزيز حرف الروي دائما التزام الشعر والسجع، ولم تهمله إهمال النثر المرسل، بل كانت لها

1- عائشة بنت الشاطئ: التفسير البياني للقرآن. ص:509

2- أحمد عمر مختار، لغة القرآن وثيقة فنية، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، ط3، 1418هـ، ص 136.

صبغتها المتميزة في الالتزام والتحرر من الالتزام، فهناك الفواصل المتماثلة والمتقاربة والمنفردة"[1]

وردت الفواصل القرآنية متماثلة في حروف مقاطعها، وتسمى المتجانسة أو ذات المناسبة التامة مثل قال تعالى: "وَالطّورِ وَكِتَابٍ مّسْطُورٍ فِي رَقّ مّنْشُورٍ" (سورة الطور؛ الآيات1-3). كما وردت متقاربة في حروف مقاطعها وتسمى ذات المناسبة غير التامة. قال تعالى: "الرّحْمَنِ الرّحِيمِ. مَلِكِ يَوْمِ الدّينِ" (سورة الفاتحة؛ الآيتان 3-4). تقارب الميم والنون وتقارب الدال والباء في قوله تعالى: "قَ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ بَلْ عَجِبُوَاْ أَن جَآءَهُمْ مّنذِرٌ مّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ" (سورة ق؛ الآيتان 1-2). "أمّا الفاصلة المنفردة، وهي نادرة، فهي التي لم تتماثل حروف رويها ولم تتقارب، كالفاصلة التي ختمت بها سورة الضحى المكية"[2]

والفواصل القرآنية القصد منها توضيح المعنى وتوفير الرونق اللفظي "فلعل جلال الفواصل القرآنية في نسقها الفريد "يعفينا من لدد خصومة بين أصحاب اللفظ وأصحاب المعنى، لا يعرفها ذوق العربية المرهف في بيان الأعلى بالكتاب العربي المبين." [3]. فالقرآن ينتقي الفاصلة التي فيها الإعجاز البياني، فهي تلائم مضمون الآية، وتناسب إيقاع النص كلّه، فلا يجد السامع انقطاعا في الكلام بل الانسجام العجيب من جراء ما تجلبه للسياق العام.

لم تقف أهميتها عند هذا الحد بل غطّت دلالتها أسماء الله الحسنى. فأغلب السور احتوت فواصلها عددا من أسماء الله، فهي ترد في نهاية الآيات وتترك وقعها على النفوس: "تردّ الفواصل الجميل للأسماء الحسنى إذ تنزلها منزلا حسنا في ختام الآيات وتبذل لها النّصيب الأوفى من النفوس والأسماع لأنّها آخر ما يتناهى إلى القارئ والسامع من الآيات"[4]، فهناك الأسماء المفصلة كالرحمن الرحيم والقادر، وأسماء مشتقة من المفصلة

1- محمد الحسناوي، الفاصلة في القرآن، ص145.

2- المرجع نفسه، ص 148.

3- عائشة بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن، دار المعارف القاهرة 1404هـ، ط3، ص279.

4- محمد الحسناوي، الفاصلة في القرآن، ص314.

كذي انتقام. وما يزيدها جمالا هو ورودها مقترنة فقلّما ترد مفردة، أمّا تنويعها فله أثره المدّوي في أرجاء السياق.

هذا المنهج في تناوب أسماء الله الحسنى في الفواصل ينفد في النفس الإنسانية وفطرة التديّن، وتكشف عن أسماء الحقّ المفارقة لأسماء البشر من جميع المناحي. فالفواصل في هذا النوع قد بلغ إيقاعها درجة تؤكد ظاهرة الإعجاز تأكيدا يطمئن إليه العقل وترضى عنه الفطرة. إنّ للقرآن طريقة متميزة في توافق حروفه وكلماته وجمله، ويستعمل هذا التوافق في تحقيق المقاصد في سياق بديع: "إنّ المتأمل في حروف القرآن الكريم وكلماته لا يجد فيها شيئا خارجا عن المألوف المتداول في لغة العرب قديما وحديثا، لكن عند ما نتلو آيات الله نشعر أنّ للعبارة القرآنية كيانا خاصا التي عليه تراكيبه ورسم معالم صورة نظمه الفريد على هذا الكيان الفريد"[1].

إنّ نهاية الآية القرآنية هي الفاصلة تميّزه عن غيره من النصوص ودليل عليه. هذا ما جعل العقل عاجزا أمام هذا الإتقان، ويشهد على إحاطة الله بالكلام كله.

وقد اهتمّ القرآن باختيار الكلمات المناسبة ذات نغمة تؤدي وظيفتها في تشكيل الفاصلة، لتولّد إيقاعا يبعث في النفس تصويرا للمعنى. ففيها لطائف دقيقة لم يألفها العرب في كلامهم. فالفاصلة القرآنية تفتح الأذهان على حقيقة مكنونة في السياق القرآني، وانفراد القرآن بها دليل على مادة الإعجاز، يتذوق المتلقي فيها مواطن الجمال لقوة الإبداع الذي يعجز البشر إيجاد مثيلا له "فالفاصلة ليست معجزة وحدها، بل هي جزء يسهم في الإعجاز، وأيّ جزء"[2] ، فالفاصلة القرآنية بإيقاعها الصوتي تجسّد التعبير البليغ الذّي يجلب المعنى الجليل والنسق الفريد "مقتضى الإعجاز أنّه ما من فاصلة قرآنية لا يقتضي لفظها في سياقها دلالة معنوية لا يؤديها لفظ سواه، قد نتدبره فنهتدي إلى سره البياني، وقد يغيب عنّا فنقر بالقصور عن إدراكه"[3]

1- مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن، ص141.

2- حمد الحسناوي، الفاصلة في القرآن، ص319.

3- عائشة بنت الشاطئ، الإعجاز البياني في القرآن، ص278.

تظهر أهميّة الفاصلة في تمثيل المعنى، وتبيان الجانب الصوتي الكامن في اللفظ. ولهذا فالقرآن الكريم هو النموذج الأمثل، يتوقف عليه الانتفاع بحسن الاستماع ويتضمن مجموعة من اللوحات البديعة التي تستميل العقل والقلب، وتحمل مضامين مختلفة كالعفة والصبر. فهي تمثل جانبا رئيسا في لغة القرآن، فدراستها تتطلب الإحاطة بعلوم اللغة خاصة النحو والصرف والبلاغة والأصوات.

الفاصلة في ضوء نماذج قرآنية:

النظام الصوتي في القرآن الكريم متنوّع، ومن صوره الفاصلة التي تحقّق التناغم عند تغاير القراءة لبعض القراء الذين يؤثرون البناء الذي تقتضيه الفواصل التي هي من مظاهر الإعجاز القرآني. وقد اهتمّ بها القدامى لما لها من أثر في نظم القرآن الذي لم يجر على ما كان عليه العرب من السجع والقافية. فقد سلك مسلكا خالف به عادة كلام العرب عما كان يلحقه من اضطراب وتكلّف. فقد فضّل القرآن هذه الصورة ليحتفظ بالمعنى ويعمّقه تثبيتا للنفوس وتهذيبا للخلق، وتظهر قيمتها في الأداء الصحيح للنص. وللوصول إليها لابدّ أن نقف عند مجموعة من النماذج نبيّن من خلالها خدمة الفاصلة للدلالة وما تتركه من آثار في المتلقي. ولدراستها سنعرض صورا متنوعة لها انطلاقا من قراءة القراء، وما اتّفقوا عليه من أبنيتها:

الفاصلة المتماثلة:

هي التي تماثلت في الصوت الأخير فعند قوله تعالى: "طه، مَآ أَنَزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى إِلاّ تَذْكِرَةً لّمَن يَخْشَىَ تَنزِيلاً مّمّنْ خَلَق الأَرْضَ وَالسّمَاوَاتِ الْعُلَى" (سورة طه؛ الآيات 1-5)، التزمت الفواصل بحرف الرويّ بشكل مخالف للشعر لأنّ القرآن تميّز بها في بعض الآيات وتحرّر منها في الأخرى، فالروي يناسب خواتم هذه الآيات، والغاية من الفاصلة هو تيسير القرآن على لسان الرسول ﷺ وتذليلا لحفظه كما هو الشأن مع سورة مريم التي قبلها.

والنوع الثاني من المتماثلة الاتفاق في الصوتين الآخرين فعند قوله تعالى: "أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ الّذِيَ أَنقَضَ ظَهْرَكَ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ" (سورة الشرح؛ الآيات 1-4)، فالصوتان (الراء والكاف) مشتركان في صفة الانفتاح والاستفال ما جعلهما ينسجمان مع جو الحنان والرحمة

ومظاهر الرعاية الربانية التي انعكست على الفاصلة فتمخّضت عنها موسيقى شجية وأداء سام. وقد ورد هذا التلوين الصوتي ليعبّر عن الضيّق والكيّد اللذيْن أثقلا كاهل الرسول صلى الله عليه وسلم.

والنوع الثالث منها ما كان في ثلاثة أصوات. قال تعالى: "مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبّكَ بِمَجْنُونٍ وَإِنّ لَكَ لأجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ" (سورة القلم؛ الآيتان 2–3)، فالكلمتان (مجنون وممنون) اتّفقتا في نفس الصامت مع صوائته وهو النون المكرّرة مرتين المعروفة بالجهر والغنّة، وقد توسّطت الصائت الطويل (الواو) بينهما فأبانت من خلالهما الفاصلة عن دلالتها المتمثّلة في الردّ على افتراء الكفار، فتجاوبت الفاصلتان لإعطاء التعبير لونا خطابيا يكشف عن الحقد الذميم الذي يكنّه الأعداء للرسول صلى الله علي وسلم.

والنوع الأخير في أربعة أصوات فعند قوله تعالى: "إِنّ الّذِينَ اتّقَواْ إِذَا مَسّهُمْ طَائِفٌ مّنَ الشّيْطَانِ تَذَكّرُواْ فَإِذَا هُم مّبْصِرُونَ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدّونَهُمْ فِي الْغَيّ ثُمّ لاَ يُقْصِرُونَ" (سورة الأعراف؛ الآيتان 201–202)، تقع الفاصلة في هذا الموقع بين (مبصرون ويقصرون) فالأصوات التي تساوت فيها الكلمتان لها نفس المخرج والصفات الاستعلاء والصفير للصاد، والتكرير والجهر للراء، فهي تحمل إشارات توحي إلى معان عميقة تبيّن مس الشيطان، وخوف الله، ووقعها يحذر الغافل ويذكر العاقل.

الفاصلة المتقاربة:

وتسمى ذات المناسبة "فهي التامة فهي التي تقاربت حروف رويها"[1]. من صورها الميم مع النون فعند قوله تعالى: "الرّحْمَنِ الرّحِيمِ مَلِكِ يَوْمِ الدّينِ" (الفاتحة؛ الآيتان 3-4)، وفر ترتيب الصفتين (الرحمن والرحيم) الانسجام بين الصوتين وهذا ما تدركه الفطرة، فلو تقدّمت صفة على أخرى لكان التقسيم مضطربا نفس الشيء، مع (مالك يوم الدين)، فقرأ (مالك) باسم فاعل تلائم الوزن بعكس القراءة (ملك) "التي قرأ بها نافع ابن كثير أبو عمرو"[2]. فالتقارب بين الصوتين (الميم والنون) في صفات كالجهر والغنّة والتوسط منح الآيتين نظما بديعا وبناء مخالفا للشعر والنثر.

مثال آخر: تقارب الدال مع الباء كقوله تعالى: "قَ وَالْقُرْآنِ المَجِيدِ بَلْ عَجِبُوَاْ أَن جَاءَهُمْ مّنذِرٌ مّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ" (سورة ق؛ الآيتان 1-2). في هذه الآية تعبير فريد وإيقاع رهيب زاد الفاصلة جرسا نتج عن اجتماع الصوتين في الصفات كالجهر والشدّة والقلقلة، فهناك علاقة بين الحرفين ما أعطى الدلالة قوة في الوقع مادام الأمر متعلقا بمسألة البعث. وهذان النوعان ميّزا القرآن المكي والمدني: "الملاحظ أنّ الفواصل المتماثلة تشيع في الآيات والسور المكية على حين تغلب المتقاربة على الآيات المدنية"[3]

كما وردت في القرآن فواصل منفردة "وهي التي لم تتماثل حروفها ولم تتقارب"[4]

ومن أشكالها التقديم والتأخير فعند قوله تعالى: "إِنّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىَ وَإِنّ لَنَا لَلاَخِرَةَ وَالأُولَىَ" (سورة الليل؛ الآيتان 12-13)، ما يلاحظ على هذا السياق تقديم الآخرة لأنّها دار الجزاء والثواب، وهذا التقديم والتأخير جاء لتحقيق الفاصلة، والمعنى هو التأكيد على إحاطة الله بالناس والسيطرة عليهم.

1- محمد الحسناوي، الفاصلة في القرآن، ص146.147.

2- أحمد عمر مختار، سالم مكرم، معجم القراءات، عالم الكتب بيروت 1982، 7/1.

3- محمد الحسناوي، المرجع السابق، ص147.

4- المرجع نفسه، ص148.

وعند قوله تعالى: "وَمَا ظَلَمَهُمُ اللهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ" (سورة آل عمران؛ الآية111)، تقدّم المفعول به على الفعل المضارع. فهذا التقديم يخدم الفاصلة فيتحقّق حرف النون مع أمثاله في الفواصل السابقة. كما أنّ المضارع يوحي إلى التجديد، "وتقديم المفعول لرعاية الفواصل لا للتخصيص إذ الكلام في الفعل باعتبار تعلقه بالفاعل لا بالمفعول أي ما ظلهم الله ولكن ظلموا أنفسهم وصيغة المضارع للدلالة على التجدد"[1]

الحذف:

من دواعي الحذف في القرآن الكريم تحقيق الفاصلة، ومن أشكاله حذف المفعول به فعند قوله تعالى: "وَالضّحَىَ وَاللّيْلِ إِذَا سَجَىَ مَا وَدّعَكَ رَبّكَ وَمَا قَلَىَ"(الضحى؛ الآيات 1-3)، حذف الصوت (الكاف) من قلى من أجل تحقيق الإيقاع الهادئ يتماشى مع بقية الفواصل الأخرى. أمّا الثانية فهي دلالة السياق: "إنّ حذف الكاف من (قلى) مع دلالة السياق عليها، تقتضيه حساسية مرهفة بالغة الدقّة واللطف، هي تحاشي خطابه تعالى رسوله المصطفى في موقف الإيناس، بصريح القول و"ما قلاك"[2]. هذا الحذف وفّر للفاصلة نغما متميّزا فيه استمالة الذهن للوقوف أمام الكون لمعرفة حقيقة الإبداع الرباني.

وحذف المصوت الطويل (الياء) في الفعل فعند قوله تعالى: "وَاللّيْلِ إِذَا يَسْرِ" (الفجر؛ الآية 4)، رغم أنّ الفعل (يسر) غير مجزوم، لكنّ رعاية الفاصلة المبنية على الراء المكسورة: "وهي قراءة الجمهور بحذف الياء وصلا ووقفا"[3].

وحذف الصائت الطويل هنا يمثّل رأس الآية.

الزيادة:

زيدت بعض الحروف في بعض المواطن من القرآن من أجل الفاصلة فعند قوله تعالى: "وَتَظُنّونَ بِاللهِ الظّنُونَاْ" (سورة الأحزاب؛ الآية 10)، "وَأَطَعْنَا الرّسُولاَ" (الأحزاب؛ 66)، "فَأَضَلّونَا السّبِيلا" (الأحزاب؛ 67)، إذ "قرأ نافع وابن عامر وأبو بكر والظنونا والرسولا

1- أبو سعود، إرشاد العقل السليم، دار إحياء التراث العربي بيروت، 75/2.

2- بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن دراسة لغوية، ص269.

3- أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط البحر المحيط، دار الفكر بيروت 1992، 463/8.

والسبيلا بالألف في الوقف والوصل"[1]. وهؤلاء القراء لم يحذفوا هذا المصوت الطويل تأثّرا بكلام العرب خاصة في أشعارهم فكان بعض الشعراء يثبتون الألف كعمرو بن كلثوم في معلقته. فرغم أنّ هذه الكلمات جاءت معرفة بـ(أل)إلا أنّها اتصلت بها الألف وهذا من أجل الفاصلة والانسجام الصوتين وتعدّ رؤوس الآي. فرغم أنّ هذه الكلمات جاءت معرفة بـ(ال) إلا أنّها اتصلت بها الألف وهذا من أجل الفاصلة والانسجام الصوتين وتعدّ رؤوس الآي.

كذلك من رؤوس الآيات التي انتهت فواصلها بالهاء فعند قوله تعالى: "هَآؤُمُ اقْرَؤُاْ كِتَابِيَهْ" (سورة الحاقة، الآية 19)، فهذه الهاء جاءت لتحقيق الفواصل مع ما قبلها لتناسبها في الإيقاع مع (خافية، راضية، عالية، دانية، الخالية، القاضية). فكان لهاء السكت في فواصل السورة وقع نفسي جمع بين السرور والحسرة. فقد أدت وظيفتها الصوتية والأدائية في قراءة القرآن الكريم: "وإنّما يصلح إثبات هاء الوقف في الفواصل لأنّها مسكوت عليها. على أنّ دخول الهاء أمارة إذا وصل القارئ الآية بالآية"[2]. وعند قوله تعالى: "فَأُمّهُ هَاوِيَةٌ وَمَآ أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ" (سورة القارعة؛ الآيتان 9-10). إنّ هذا الصوت الذي له وقع خاص يكمن في إعطاء لسياق تلوينا صوتيا يعمّ الكلمات المجاورة للكلمة التي وردت فيها وتكشف عن الدلالات.

كما كان لاختلاف شكل بعض الكلمات بين القراء أثر في بروز الفاصلة التي أكسبت التعبير جمالا يليق بقداسة النص القرآني. وما يميّز اللغة العربية أنّ فيها كلمات تحمل وجهين في بنائها، والقرآن يصطفي لها واحدا. من ذلك كلمة (رَشَدَا) قال تعالى: "وَهَيّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً) (سورة الكهف؛ الآية 10): "قرأ الجمهور (رشدا) بفتحها. قال ابن عطية، وهي أرجح لتشابهها بفواصل الآيات قبل وبعد"[3]. وفي مواقع أخرى استعمل كلمة (رُشْدا) بضم الراء وتسكين الشين، وهذا يدلّ على بلاغة القرآن، لأنّ الكلمة أخذت مكانها المناسب لتؤدي المعنى، وتحافظ على الانسجام في الإيقاع، ولا يمكن استبدالها حتى لا يختل النظم.

1- أبو زرعة، حجة القراءات. تحقيق: سعيد الأفغاني مؤسسة الرسالة بيروت لبنان 1393هـ، ص572.

2- أبو زرعة، حجة القراءات، ص719.

3- أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 99/6.

إنّ اللّغويين وقفوا عند وجهين لهذه الكلمة في شكلها وهذا حسب موضعها من الجملة "لكن جمهور أهل اللغة على أنّ الفتح والضم في الرشد لغتان كالبُخْل والبَخَل والسُّقْم والسَّقَم والحُزْن والحَزَن، فيحتمل عندي أن يكون الاتفاق على فتح الحرفين الأولين؛ لمناسبة رؤوس الآي وموازنتها لما قبل ولما بعد، نحو عجبا وعددا وأحدا"[1]

وآثر بعض القراء صيغا لمراعاة الفاصلة من ذلك قوله تعالى: "إِنّ الْمُتّقِينَ فِي جَنّاتٍ وَنَهَرٍ" (سورة القمر؛ الآية 54): قرأ الجمهور نهر على الإفراد بدلا من الجمع رغم أنّها معطوفة على (جنّات)، واختيار هذه الصيغة تجنبا للثقل، وتحقيقا للفاصلة مع بقيّة الكلمات (بصر، مدّكر، زبر، مستطر) التي تشكّل رؤوس الآي في السورة.

كذلك تصريف ما لا ينصرف فعند قوله تعالى: "وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مّن فِضّةٍ وَأَكْوابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَاْ" (سورة الإنسان؛ الآية 15): "فكلمة (قواريرا)تكررت مرتين. لذلك من القراء من قرأ الأولى منونة كخلف ابن كثير"[2]. والحجّة في ذلك حتى تنسجم مع رؤوس الآيات السابقة واللاحقة: "سرورا، زمهريرا، وتذليلا، وتقديرا، وزنجبيلا، وسلسبيلا."

ومن القراء من اختار في قراءته لفظا على آخر من أجل الفاصلة فعند قوله تعالى: "أَإِذَا كُنّا عِظَاماً نّخِرَةً" (سورة النازعات؛ الآية 11)، فكلمة (نخرة)"قرأها أبو بكر وحمزة والكسائي بألف، على وزن فاعلة"[3]. وهذه القراءة بغية توافق الفواصل في رؤوس الآيات السابقة للكلمة كالحافرة الرادفة والراجفة والساحرة واللاحقة كالخاسرة والواحدة والساهرة.

كما توفّرت في القرآن بعض الفواصل غريبة اللفظ فعند قوله تعالى: "تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَىَ" (سورة النجم؛ الآية 22)، فالسياق استخدم هذه الكلمة الغريبة لتتناسب مع الافتراء الغريب على الله، والوهم الباطل تمثّل في نسبة البنات إلى الله و البنين إليهم. ففواصل السورة مختومة بألف مقصورة وهذا ينسجم مع الكلمة بدلا من جائرة أو ظالمة مع تحقيق النظم القوي والإيقاع المؤثر.

1- ابن الجزري، النشر دار الكتب العلمية بيروت لبنان، 213/2.

2- عبد الكريم اللطيف، معجم القراءات دار سعد الدين، سورية، ط1، 2002، 215/10.

3- مكي القيسي، الكشف عن وجوه القراءات، تحقيق: محي الدين رمضان مؤسسة الرسالة بيروت 1394هـ، ط2، 361/1993.

ومن صور الفاصلة ما تغيّر فيها شكل التعبير، وهذا تماشيا مع السياق ووقوفا عند الدلالة فعند قوله تعالى: "قَالُواْ يَمُوسَىَ إِمّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمّآ أَن نّكُونَ أَوّلَ مَنْ أَلْقَىَ" (سورة طه؛ الآية 65)، وظّف القرآن الفعل (ألقى) بدلا من (نلقي) لغرضين الإيقاع الموسيقي، والتلميح إلى قرب إيمان السّحرة فقد تأدبوا معه في الحوار، وكأنّ الله يهيّئهم للإيمان برسالة موسى عليه السلام.

وبالمقابل نجد في سورة الأعراف استعمل (ملقين). قال تعالى: "قَالُواْ يَمُوسَىَ إِمّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمّآ أَن نّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ" (سورةالأعراف؛ الآية 155)، كذلك في هذا السياق تحلى السّحرة بأدب المعاملة معه فاستخدم اسم فاعل مراعاة فاصلة الكلمات السابقة (حاشرين، الغالبين، المقربين). وهذا من إعجاز القرآن الكريم: يأتي باللفظ حسب المعنى الذي يقتضيه.

للفاصلة في القرآن قيمة صوتية عجيبة في إيقاع النص، وتميّز السور عن بعضها البعض من ذلك ظاهرة الإمالة، وعلاقتها بالفاصلة في سور كثيرة منها سورة الأعلى فقد ختمت بألف مقصورة المفتوح ما قبلها. فعلى القارئ أن يحسن نطق صوت الراء الذي يسبق الألف المقصورة خاصة في الكلمات (اليسرى، الذكرى، والكبرى) بإظهار جهره وتكريره.

ونجد هذه الظاهرة الصوتية في سورة الليل: "أمّا فواصلها اليائية، وهي تسع عشرة"[1] ، فهذه الفواصل تدل على بدائع الانسجام في التعبير القرآني.

كما انفرد القرآن بنمط خاص في الفاصلة منها ما تألّف من كلمة عبارة عن آية فعند قوله تعالى: "الْحَاقّةُ مَا الْحَآقّة وَمَآ أَدْرَاكَ مَا الْحَاقّةُ" (سورة الحاقة؛ الآيات 1-3)، فإعادة لفظ الحاقة جاء للتعظيم، فكل آية قائمة بذاتها مشكلة من سبعة أحرف منطوقة متضمنة ألفا ممدودة وقافا مشددة" وقد نجم من ذلك التركيب الصوتي النادر للفظ أن حدث أثر امتداد في النطق بالألف، انقضاض خاطف على الحرف المشدد." [2]. فالتشابه الصوتي للفاصلة في هذا الموضوع كان وقعها شديدا. فالتشابه الصوتي للفاصلة في هذا الموضوع كان وقعها شديدا.

1- مكي القيسي : الكشف عن وجوه القراءات. ج:2، ص:614

2- حسن محمد جودة، تأملات في سورة الحاقة، دار بوسلامة، تونس1973، ص23.

والنوع الثاني "ما كان جزءا من الآية لا تقوم إلا بها، ولا تستقل هي بمفهومها في غير آيتها"[1] ، فعند قوله تعالى: "وَالنّجْمِ إِذَا هَوَىَ مَا ضَلّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىَ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىَ إِنْ هُوَ إِلاّ وَحْيٌ يُوحَىَ" (سورة النجم؛ الآيات1-4)، شكلّ بناء الفاصلة اللفظي لونا ملحوظا في إيقاعها، فهي موزونة إضافة إلى معناها الذي تؤديه وهذه ميزة التعبير القرآني. فلم تقف الفاصلة عند ظاهر الألفاظ، وإنّما تزيد الفهم، وتكشف عن الموضوع الحقيقي ألا وهو الوحي وطبيعته.

أماّ النوع الثالث فهو الطويل ويتفاوت عدد ألفاظها في الآيات الطويلة فعند قوله تعالى: "وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنّا رَحْمَةً ثُمّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرّآءَ مَسّتْهُ لَيَقُولَنّ ذَهَبَ السّيّئَاتُ عَنّيَ إِنّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ" (سورة هود؛ الآيتان 9-10): ما يلاحظ على هذين الآيتين أنّ الفاصلة وردت للتناسب لا للتضاد، فالمتلقي تأتيه قبل النطق بها لأنّ السياق موطن لها، ونلمس الدقّة في التقسيم ما حقّق الانسجام بين الكلمات. فهذا النوع خرج على نمط السجع الذي ألفه العرب. فالفاصلة جذبت النفس بجمالها لاستكمال إيقاعها، فكأنّ الدلالة استدعت تساوٍ بين الآيتين فلا تفاضل بينهما.

إنّ وجود الفاصلة في القرآن كان لتقارب الصوت، والمعنى فلجأ بعض القراء كحمزة والكسائي إلى صيغ مراعاة لهذه الظاهرة، "وحينما يقع التغاير القرآني في حركات بنية اللفظ يؤثر بعض القراء البناء الذي يحقق توافق الفواصل، ويقتضيه تناغم الإيقاع فيما بينها وقد صار ذلك الوجه كله لاختيار القراء وتوجاه القراءة في مواضع متعددة"[2]. كما تميّزت الفاصلة في بعض المواقع بالتنوع، فالتلاوة الصحيحة تجعل السامع يشعر بنغمات مختلفة يقف من خلالها على المقاصد الدلالية على حسب ما يمتلكه من إدراك.

1- محمد الحسناوي، الفاصلة في القرآن، ص156.

2- أحمد سعد محمد، التوجيه البلاغي للقراءات، ص507.

نموذج التحليل الصوتي لقصار السور؛ سورة الفلق نموذجا:

أولا؛ مقاصد سورة (الفلق) وفضائلها:

إن لسورة الفلق مقاصد وأهدافا جليلة، إذ تضم موضوعاتها وحدة نسقية وتآلفا في التراكيب وتناسبا في الفواصل، وهي دليل الإعجاز بإظهار جمال النظام الصوتي ودلالته من كمال وحدة معانيه وتآلفها في السياق ترتيبا يسترعي الانتباه ويقرع الآذان داعيا إلى إظهار مسموعات الأصوات الدالة على المحسوسات.

1 . في السورة تعليم للعباد أن يلجؤو إلى حمى الرحمن، ويستعيذوا بجلاله وسلطانه من شرّ مخلوقاته [1]، فتضمنت السورة الاستعاذة من الشرور والمضار البدنية بأوجز لفظ وأجمعه وأعمه بالاستعاذة.

2 . ترتيب السورة كان وفق فوائدها، وهي سلامة النفس والبدن[2].

3 . ختم القرآن بالمعوذتين ؛ ليحصل الاستعاذة بالله عند أول القراءة وعند آخر ما يقرأ من القرآن، فبدئ بالفاتحة وختم بالمعوذتين، ليجمع بين حسن البدء، وحسن الختم[3]، البدء بالدعاء والختم بالتحرز والتحصن والنجاة.

4 . تُعد (سورة الفلق) من أكبر أدوية المحسود ؛ لأنها تتضمن التوكل على الله والالتجاء إليه والاستعاذة من كل شرّ [4].

5 . تسمّى أيضاً مع (سورة الناس) بـ (المقشقشتين) لأنهما تبرئان من الشرك والنفاق[5]، إبراء المريض من علته [6].

6 . من فضائل (سورة الفلق) القراءة بها دبر كل صلاة احترازاً من النسيان والأمن من الحفظ [7].

7 . عظيم مقصود السورة، وعظيم منفعتها في التبرك بها والاسترقاء،

---

(1) صفوة التفاسير، للصابوني: 3 / 623، 625.

(2) من أسرار المعوذتين، فرحان العطار: 4.

(3) صفوة التفاسير: 3 / 625.

(4) بدائع الفوائد، لابن القيم: 1 / 237.

(5) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: 19 / 178.

(6) لسان العرب، لابن منظور: 8 / 228 (قشش).

(7) فقد صحّ عن النبي ﷺ أنه قرأ بهما في الصلاة، فتح البيان في مقاصد القرآن، القنوجي: 7 / 509.

8 . اشتمال (سورة الفلق وسورة الناس) جوامع الاستعاذة من كل مكروه جملةً وتفصيلاً [1]، عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: (كان رسول الله ﷺ يتعوذ من الجان وعين الإنسان حتى نزلت المعوذتان، فلما نزلتا أخذ بهما وترك ما سواهما) [2].

9 . إنّ (سورة الفلق وسورة الناس) لم ينزل مثلهنّ في التوراة ولا في الزبور ولا في الإنجيل، عن عقبة بن عامر قال: (لقيت رسول الله فقال لي: يا عقبة بن عامر ألا أعلمك سوراً ما أنزلت في التوراة، ولا في الزبور، ولا في الإنجيل، ولا في الفرقان مثلهنّ؟ لا يأتين عليك إلاّ قرأتهنّ فيها:﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾[3].

1 ـ تناسب الفواصل:

إنّ من أبرز مظاهر التناسب المعنوي بين الآيات تناسب الفواصل[4] فهي بلاغة[5] ؛ تظهر فيها الفصاحة، ويقع بها إفهام المعاني[6] لتتناسب في النظم والتركيب من منظوم الكلام، وجمالها الصوتي هو أول شيء أحسته الآذان العربية أيام نزول القرآن، تراءى بها اتساق القرآن وائتلافه في حركاته وسكناته، ما يعرف بـ (نظام القرآن الصوتي)[7]، الذي تتسق فيه الحروف اتساقاً عجيباً تبهر به العقول.

وتستمد الفواصل قيمتها من السياق الذي ترد فيه، لتأتي مستقرة في مكانها من الآية، غير نافرة ولا قلقة، وتتعلق بمضمون السورة ومقاصدها تعلقاً يصرفها على وجوه مختلفة من قصر وطول وتكرار وتنويع وما للخطاب من مضامين تتناسب فيه الفواصل رعياً للآيات ترتيباً واتساقا؛ تخيراً وانتقاءً، في نظوم من التراكيب تعلو أسليب أخرى في حسن البيان ودلائل الإعجاز في البديع.

وانفراد القرآن بهذا الوجه المعجز من نظم الفواصل ودلالاتها تمييزاً له عند سماعه عن غيره، وتحدّياً لكل نثر مرسل أو سجع مصنوع لا يتعلق معناه بما قبله إلاّ تكلفاً، فسمي نظماً

---

(1) تفسير سورة الناس، للنسفي، من كلام المحقق: عيادة الكبيسي: 194.

(2) صحيح الترمذي، كتاب الطب، باب (ما جاء في الرقية بالمعوذتين): 4 / 354.

(3) سلسلة الأحاديث الصحيحة، بتحقيق: الألباني، رقم الحديث (2861): 6 / 859.

(4) الفاصلة في القرآن، وهي كلمة آخر الآية، الاتقان في علوم القرآن، للسيوطي: 3 / 290.

(5) النكت في إعجاز القرآن، للرماني: 97.

(6) إعجاز القرآن، للباقلاني: 273.

(7) مناهل العرفان: 557.

عند سيد قطب[1] كأعلى درجات التناسق الفني الذي تتآلف فيه الكلمات، وتنتظم به الجمل في الآيات والسور بما تعجز عنه المماثلة.

ومما يؤكد علاقة الفاصلة بالنظم ما ذكره الزركشي في قوله من "أنّ الفاصلة تأتي للمحافظة على حسن النظم والتئامه"[2]، وفائدتها عند الرماني"دلالتها على المقاطع، وتحسينها الكلام بالتشاكل، وإبداؤها في الآي بالنظائر"[3]، لما فيها من دلائل ووجوه الإعجاز.

وتتصرف الفواصل القرآنية في السور بطرائق مختلفة، ومنها سورة (الفلق) لتتنوع الآية الواحدة والآيات بما يحقق المعنى المقصود والدلالة المبتغاة من مضامين السور، ففي السورة نجد النغم متحداً، والفواصل متقاربة أو متماثلة كطابع غالب على السور القصار في تقرير حقيقته التي قال عنها محمد أبو زهرة " إنّ نظم السُّور القصار كلّه يكاد يكون على نسق واحد، مؤلف النغم، متآخي الألفاظ، متلائم في نظمه"[4].

وهكذا جاءت فواصل (سورة الفلق) متماثلة في مخارج أصواتها وهي (القاف، والباء، والدال)، وقد عدّت هذه الأصوات في علم الصوتيات جميعها من مخارج الفم واللسان تدرجاً، فالقاف من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك، والباء ما بين الشفتين مع تلاصقهما، والدال من طرف اللسان وأصول الثنايا[5]، وألفاظها في السورة (فلق، خلق، غاسق، وقب، عقد، حاسد، حسد)، من قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ{1} مِن شَرِّ مَا خَلَقَ{2} وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ{3} وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ{4} وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ{5}﴾ [سورة الفلق، الآيات: 1 . 5].

فتناسبت فواصلها باختيار تلك الألفاظ شدةً وجهراً بما يناسب الأحداث التي رافقت نزول السورة ومدلولها الانفعالي فيما أوذي به الرسول ﷺ من الحسد والكيد وأنواع الشرور الأخرى، وتعلق النفوس بما يحميها ويدفع عنها الشر ويرفعه، بحفظ الله ﷻ.

فاقتضت القاف بصفتها الصوتية الانفجارية في لفظة (فلق) على بيان كل ما يفلقه الله . تعالى . كالنبات من الأرض والجبال عن العيون، والنور عن الظلام، والحَبْ والنَوى، والشر

---

(1) التصوير الفني في القرآن: 74.

(2) البرهان في علوم القرآن: 1 / 72.

(3) النكت في إعجاز القرآن: 98.

(4) المعجزة الكبرى: 328.

(5) في الصوتيات العربية والغربية، مصطفى عناني: 80 . 82.

عن صاحبه[1]، بما فيها من معانٍ لغوية ودلالية جامعة للاستعاذة من الانقسام والانشقاق ونتائجه، ومنبأة عن معاني الفرج، والسعة بعد الضيق، والنجاة من الشر بالتحصن عياذاً والتجاءً إلى الله، وبعث الأمل في النفوس بعد طول انتظار[2]؛ فالقاف في جرسها من جنس حروف كلمة (فلق) و(خلق) في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ{1} مِن شَرِّ مَا خَلَقَ{2}﴾، وقد دلّت حقيقتها الجهرية الصوتية أيضاً وهي الإبانة والوضوح في السمع على إثارة انتباه الخلائق إلى الشرور الوافدة عليهم من الخارج على عمومها، ودعوتهم إلى الاستعاذة بالله تعالى من اختيار أفضل الأوقات للتوجه والذكر والدعاء وهو وقت (الفلق) أي شق الفجر، واختير صوت القاف بجهره لكونه الأنسب في نظم الآية فاصلة أو الأكثر انسجاماً لمعنى الوضوح فيما يخفيه أهل المكائد من شرور.

ومن باب تناسب صفة الصوت مع مضمون الآية الوارد منها ما جاء من صفة صوت القاف الدّال على القوة والشدّة[3]، بحيث اقتضت صلابته وقوة دلالة مقصودة على دفع الشر النابع من الخارج وهو أقوى من الداخل (الوسواس) لأنه من أسباب دفع الأقوى للأضعف، فيدفع صوت القاف المقرون بقوة الإيمان والالتجاء إلى الله تعالى أسباب ضعف النفس أمام الآلام والشرور[4]، فكان أقوى عملاً وأظهر جرساً "دفعاً للشعر المستعاذ منه أو رفعه"[5]، وهذا من مظاهر الدلالة الصوتية التي تستمد من طبيعة الأصوات نغمتها وجرسها، وتستوحى دلالتها من جنس صياغتها، وبما يتناسب مع أصدائها كوقع سمعي للفظ[6]، فتقرع فتقرع الآذان بأقوى مسموعاتها تقويةً لرجاء من يرغب بقرع باب الالتجاء إلى الله ﷻ، وجعل الأسباب موكولة بحفظه تعالى؛ فكلما كان العبد أشدّ اتصالا وأدوم استعاذة بالله تعالى كان أحصن وأحرز، وهذا ما أنبأ عنه سبب حدوث الحرف على حد تعبير ابن سينا[7].

وبما أنّ صوت (القاف) هي أشد الحروف استعلاءً وقوةً في العلم الصوتي تعليلاً[8]، لذلك جاء لفظ الأمر والمأمور به في هذه السورة مستفتحاً بها بلفظة ﴿قُلْ﴾ ؛ ليكون المبلّغ

---

(1) لسان العرب: 11 / 185 (فلق).
(2) وبيان الحق بعد إشكال، لسان العرب: 11 / 185 (فلق).
(3) منهج الدرس الصوتي عند العرب، علي خليف حسين: 131.
(4) بدائع الفوائد، لابن القيم: 1 / 205.
(5) المرجع نفسه. 1 / 204.
(6) الصوت اللغوي في القرآن، محمد حسين الصغير: 164، 165
(7) الذي يرى أنّ من أسباب حدوث الحروف (الأصوات) هي نتيجة (القرع) بأن يندفع الهواء بشدة بين القارع والمقروع مجتمعاً متصل الأجزاء، سببه تموّج في الهواء، فإمساك عنيف، ينظر: أسباب حدوث الحروف، ابن سينا: 57.
(8) المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء: 119.

عن الله . تعالى . الرسول ﷺ فقيل له: ﴿قُلْ﴾ فقال هو ﷺ ﴿قُلْ﴾ فبلغ القول الذي أمر بتبليغه على وجهه ولفظه[1]، وناسبها صفة الاستعلاء أيضاً لعلو منزلة الربّ، فالق الإصباح: أي استعينوا برب الفلق الذي يزيل كل شيء بالإبانة والوضوح.

وجيء به لفظ (فلق) و(خلق) من قوله . تعالى .: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ ليكون العوذ واللجوء إلى الخالق من شرّ الخلائق كلّها الذي هو خالقها على الخير نعمةً وقادراً على دفع شرِّها الذي يتأتى من سوء ونقص فاعلها بأمور الدين تخلقاً "فتصعيد صوت القاف استعلاءً إلى الحنك الأعلى وهو الأداء الأخف على اللسان نطقاً من أعلى إلى أسفل"[2]، لمنع شرّ من استعيذ منه بكلام الله . تعالى . خِفةً.

ورعياً للتناسب الفني والمعنوي صوتاً ومضموناً في تركيب الآية ومقاصدها ما أكّد به قلقلة القاف صفةً"، مثّلت قلقة النفس واضطرابها عند استحصال الشرور بها، ومصاحبتها للضرر "من شر كل مخلوق فيه شر"[3] تقييداً لعمومه وصفاً[4]، وما يترتب على ذلك من الدلالات النفسية التي تصاحبها كأعلى درجات التناسق الفني والنفسي التي أسماها سيد قطب[5] فجعل التعبير تناسقاً مع الحالة المراد تصويرها[6]، إذ تدرجت الرُقى هنا من أعلى إلى أسفل لاستحصال الأمن النفسي والسكينة وصوّرت الشرّ بأنه خطر يُداهم النفس من الخارج يضرها بدناً ويقلقها ديناً، فلابد من جعل التعوذ بمعوذاتها كالقافلة على حد تسمية السيوطي[7]: أي تصحبك دوماً دفعاً للضرر الخفي على الإنسان من الشرور كلّها.

ومن الدلالة الصوتية للفظتي (فَلَق) و(خَلَق) هي اتفاق صيغتهما بصيغة (فَعَل) وهي صيغة خِفة وفتح لأنّ أصواتها تنطق وهي مفتوحة الفم والأعضاء[8]، وهذا من باب تناسب الصيغ مع أصواتها ومعانيها وتسمى بـ(الصيغة الصوتية الواحدة)[9]، إذ أنّ من أوصاف

---

(1) بدائع الفوائد: 1 / 202، 203.

(2) التعليل الصوتي عند العرب في ضوء علم الصوت الحديث قراءة في كتاب سيبويه، عادل نذير الحساني: 157.

(3) بدائع الفوائد: 215.

(4) المرجع نفسه 215.

(5) التصوير الفني في القرآن: 75.

(6) المرجع نفسه، ص: 77.

(7) أسرار ترتيب القرآن: 161.

(8) الدلالة الإيحائية في الصيغة الافرادية، صفية مطهري:46.

(9) الصوت اللغوي في القرآن: 171.

الكلمة أن تكون مبنية من حركات خفيفة، ليخفّ النطق بها[1]، وهذا من جمال الإعجاز الدلالي والصوتي في القرآن الكريم عند الرافعي لأنه يجعل الكلمات مناسبة للمقام والذوق في نظم القرآن، كما يعبر عن تلاؤم الصوت والحركة في التركيب[2].

وقد اختيرت الفتحة للدلالة الأقوى، واختيرت الصيغة التي فيها سمة (الاختزان)[3]، لأنّ صيغتي (فلق) و(خلق) فيهما إضمار مفعولين هما (مفلوق) و(مخلوق)، فجاءت صفة (فعل) بمعنى (مفعول) لموافقة الأمر الذي يتطلب الخفة والسرعة بأن يدفع ما هو معلوم الوقوع لا محالة فأمرنا الله ـ تعالى ـ بأن نتعوذ به من ذلك[4].

وهكذا حافظت هذه الصيغ على التناسب الإيقاعي الموحى به من جو الآيات، فجعل توزيع الحركات في نظم صوتي متناسب مع المعاني والأغراض.

وجاءت الفواصل مكملة لمقصود الآيات من حيث التماثل والتغاير، فتماثلت روياً بحرف (القاف) في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ لتجعل النغم متآخياً على نسق واحد، متلائم الألفاظ، ومتحد الإيقاع[5]، ولتدل الفواصل بقصرها صفة للسور القصّار[6] وبإيقاعها تناسباً في نظم الكلام.

وقد تتنوع الفواصل وتتغاير وفق المعاني التي عليها نسق الآيات، منسجمة معها أتم انسجام، وهكذا جاءت متقاربة مع ما سبقها من الفواصل في قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾، إذ جمعت الباء صفات الجهر والقوة والشدة والإطباق والقلقلة، وهي من صفات القوة مع نظيرتها (القاف)[7]، والقوة والمقاومة والانفجار لكمال قوة الاعتماد على الحرف[8] الحرف[8] المتمثل في صوت الباء فاصلةً ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾، في دفع الشر الوافد الوافد على الإنسان من الخارج، وهي شرور خاصة تحصل في (الليل) يضمها لفظ الباء الموصوف بأنه " شديد مجتمع"[9]، فيكون الشر في الليل أكثر، والتحرز من الشرور فيه

---

(1) المثل السائر، لابن الأثير: 1 / 191.
(2) إعجاز القرآن: 327.
(3) جماليات المفردة القرآنية، أحمد ياسوف: 185.
(4) مفاتيح الغيب، للرازي: 31 / 177.
(5) المعجزة الكبرى: 328.
(6) التصوير الفني في القرآن: 91.
(7) الخصائص: 2 / 162.
(8) التعليل الصوتي عند العرب: 119.
(9) إعجاز القرآن، للرافعي: 232.

أصعب[1] لما يتضمنه من خفاء ومكائد لأقوى للإنسان على دفعها إلاّ الاستعاذة من شره المتحقق فيه "لكثرة وقوعه"[2]، والتضعيف في لفظة (شرّ) لبيان ضعف الشرور وتكررها في الخفاء حقيقةً، وفي الراء تكرار متتالي يتناسب مع ضعف نطقه "بفضل تكرره على اللسان"[3]، وفي ترقيقه كسر يختفي معه النطق، وفي تفشي الشين صفة ملازمة لانتشار الشرّ وغلبته في الظلمة، وكأنّ (الغاسق) هو الفاعل للظلمة الشديدة فيقال غسق الليل إذا أظلم[4]، أي اشتد ظلامه، فالغاسق هو شدة الظلام، وهذا وصف ملازم له وثابت؛ لأنّ زمان زمان اسم الفاعل فيه أو ما يسمى بـ(الفعل الدائم) عام مستمر لا نص فيه على مضي أو حالية أو استقبالية[5]، وهذا أوفق بالسياق لتحصل الاستعاذة من شدة الليل إذا دخل في ظلامه، فالغاسق هو (شدة الظلام) ووقب[6] هو (شدة الدخول)، والتأثير حاصل في مدّ الصوت واستطالته في لفظة (غاسق) والزمن الحاصل في نقطه وتقييده (بإذا وقب)، ليتعاضد الأثر النفسي للصوت مع نظم الآية وتغايرها في إطالة زمن الصوت وفق الأثر الحاصل للشر على الإنسان وامتداده فيه شرطاً ناتجاً من تحققه لا يدفعه إلاّ دعاءً يمثل انفراجاً بعد شدة من ضيق وشرّ ؛ فيحققة الباء صفةً ومخرجاً.

ويتعاضد مع فاصلة (الباء) قوة التنوين وتنكيره في صيغة (غاسقٍ) ودلالتها على التعظيم، فيكون الغاسق هو الليل إذا عظم ظلامه[7]، أو هو مخصوص ببعض الشرور دون دون بعض، على معنى إفادة التبعيض[8].

ثم ينتقل الذوق القرآني دلالةً إلى فاصلة أخرى من فواصله الصوتية وهي فاصلة الدال في قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ وهو صوت شديد مجهور انفجاري[9]؛ أسناني، منفتح يجري مع نطق صوته النفس؛ ومن صفات القلقلة أيضاً[10]، والناظر للآية

---

(1) فتح البيان في مقاصد القرآن: 7 / 513.

(2) تفسير روح البيان، للبرسوي: 10 / 541.

(3) جماليات المفردة القرآنية: 200.

(4) التحرير والتنوير، لابن عاشور: 30 / 627.

(5) الزمن في النحو العربي، كمال إبراهيم: 273.

(6) فالوقب هو أول الدخول في الشيء، لسان العرب: 1 / 301 (وقب).

(7) مفاتيح الغيب: 16 / 178.

(8) حاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلالين: 4 / 367.

(9) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس: 49.

(10) منهج الدرس الصوتي عند العرب: 146.

بكاملها يرى أنها استعاذة من شرّ مخصوص بأضرار بدنية بشرية، فالمستعاذ منه في الآية السابقة انتهى بفاصلة (الباء) في لفظة (وقب) وهي أول الشرور دخولاً، ممثلاً بـ (الشر الطبيعي)، ثم تعقبتها الآية الأخرى اتصالا؛ تمهيداً للدخول شرٌ بعد شرٍ يشتدّ فيه عُرى الدخول عُقدةً وإمساكاً، ويصير فيه مجمعاً للشدِ والإحكام[1]، فالدال هي أحق الحروف شدةً وصلابةً وجهراً[2]، إذ بها يتحقق الإعلان دون الخفاء قولاً وفعلاً، وعليها معاقد الإيمان قلباً وضميراً تحت مفهوم (الاعتقاد) مجرداً عن الخرافات والمعتقدات بما يفسد عنده اللسان ويعسر[3]، وفي هذه السورة تعوذ من النفاق والبرء منه في النفس والبدن، فابتدأ بـ (الوقب) وهو أول الدخول في (العُقد) وهو الدخول فيه مجمعاً للشر ثم (الحسد) وهو الانتشار والغلبة، وهذه الشرور يُستعاذ منها استعاذة عامة وخاصةً وهي من باب عطف الخاص على العام ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ{2} وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ{3} وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ{4} وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ{5}﴾ ،ومرجعيات هذا العطف كلّها داخلية[4] تنبئ عن معاني الخفاء والكيد والغفلة في العمل، وقد حققت فاصلة (الدال) في قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾الشدّة في هذه الشرور التي هي مجمع كل شرّ ناتج عن شرور، فـ (النفث) ليس شرّاً في ذات مقصودة العام[5]، ولكن سبب الشرّ فيه هو التسبب في إزالة (عقد) الخير بما فيها من عقد الإيمان والمحبة والعهود والعزائم... وغير ذلك من الدلالات المضمونية التي يبتغي النافث إزالتها واستلابها من النفوس الطيّبة الطاهرة[6]؛ "لذلك جاءت مفردة ﴿النَّفَّاثَاتِ﴾ معرّفة معرّفة صرفتها عن معنى القلّة في صيغة جمع مؤنثها السالم إلى عموم الاستغراق والمبالغة والاتساع" للمبالغة في الشرّ"[7]، فناسب التعبير ﴿النَّفَّاثَاتِ﴾ على تأويل معناها الى الأنفس الخبيثة والأرواح الشريرة (الشيطانية)[8]، فيشمل العاقل وغير العاقل؛ لذلك جاءت صيغة

(1) عقد الحبل شدّه وجعل منه عروة ودخل أحد طرفيه فيها وشدّه، لسان العرب:10 /222 (عقد)

(2) وهي صفة الإخلاص التي انتهت عندها فواصل (سورة الإخلاص).

(3) من عقّد الكلام، جعله عسير الفهم، غامضاً. مقاييس اللغة، لابن فارس:10 /223 (عقد).

(4) علم اللغة النصي، صبحي الفقي: 1 / 351.

(5) لقوله ﷺ: ((**إنّ روح القُدُس نفث في روعي**))، =: المصنف، للصنعاني (كتاب الجامع) باب (القدر): 11 / 126.

(6) فإذا كان القرآن ينفخ به وينفث فهو نفث بالخير، فيرقى به من قلب الراقي دعاءً بالخير،=: الجامع لأحكام القرآن: 182/19.

(7) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لابن السمين الحلبي: 6 / 592.

(8) بدائع الفوائد: 1 / 221.

(فعّالة)، (نفّاثة) التي هي من صيغ المبالغة[1] مستعارة لكثرة ما ينفث وينفخ في العقد فتعمل على توهين النفوس بالاتجاه المعاكس لينتهي بها المطاف إلى التنازع والشقاق وهو ما أعربت عنه معاني الآيات الأولى من السورة.

وقد ترتبت حروف مفردة (النفث)، ترتيباً يتلاءم مع الأحداث المعبر عنها في السورة، فالقرآن المكي يخاطب العاطفة والشعور في صورة حسية، إذ تساعد الآيات في خلق الجو النفسي المصاحب للإنسان من مكل مكروه، وتحرك النفس نحو الاستعاذة من كل مكروه وشرّ، ولكثرة ما مرّ به الرسول ﷺ وأصحابه من أذى وكيد في زمن البعثة[2]، نزلت سورة المعوذتين لدفع كل مكروه، والرقية من كل شرّ[3].

وقد أوحى صوت (الثاء) المهموس في مفردة (نفث) التي تعني إخراج الهواء من بين الثنايا العليا، وارتفاع الحنك الأعلى فيسد منفذ الهواء عن طريق الأنف، ويخرج الهواء من الفم[4]، بأنّ له قوة البثّ والبحث التي وصفها ابن جني في سمت معناه الاحتكاكية المهموسة، فجعل دلالته الصوتية من جنس مفردته[5]، إذ النفث فيه معنى القوة والسرعة[6] يشعر في الآية بقوة النفث وعمق أثره بما يُولد ضيقاً في النفوس، يتناسب مع ضيق مخرج صوته، ويدل سياق الآية أيضاً على أنّ التأثير الكافي المتضمن للفعل (نفث) والحاصل في (المنفوث) (المفعول)، تضمنته الظرفية الزمانية المتمثلة بالحرف (في)، فالمنفوث فيه يطول أثر الفعل عليه من الشر، حتى تحصل له الرقيّة من الاستعاذة من كل شرّ كرر في السورة، ويمكن جمع حرفي (القاف) و(الدال) بدءاً من فاصلة الآية الأولى إلى فاصلة الآية الأخيرة بكلمة (قد)، ودلالتها مخصوصة للقطع طولاً، أو لما طال أثره وفق المعاني التي جاء بها ابن جني[7]، وقد حققت الدال بشدتها وانفراج الشفتين عند النطق بها، والجهر بصوتها ملائمة صوتية تأتلف مع نظم الآيات في التعبير عن انفراج بخير بعد ضيق چ ڤ چ من قراءة الآيات والاستعاذة بها.

---

(1) صيغة (فعّالة) من صيغها، تدل على التكثير من مزاولة الفعل بحيث تكون أحقّ بالوصف لاسم الذات، =: معاني الأبنية في العربية، فاضل السامرائي: 120، 123.
(2) النظم الفني في القرآن، عبد المتعال الصعيدي: 32.
(3) وبمثل ذلك في أوقات وأحوال مخصوصة يستحب القراءة بها.
(4) فقه اللغة العربية: 459.
(5) الخصائص: 2 / 163.
(6) لسان العرب: 3 / 17 (نفث).
(7) الخصائص:95/3

وقد اختيرت الصيغة الصوتية لمفردة (عُقد) بالضم، لأنّ الضمة في أقوى تعابيرها وانضمام الشفتين بها، واستعلاء صوتها إلى الحنك الأعلى[1] تدل بقوتها على أنّ الانسان يقوى بها من حيث الاستعاذة المنطوقة بها في وضع الضم في قلبه ولا يكون ضعيفاً بإزاء قوى الشرِّ، وفي الضم مجمع الاستعاذة من مجامع الشرور المعقودة، وفي (الدال) صفة (الانفتاح)[2] لكل شر.

ويتناسب نظم الآيات مع فاصلة (الدال) تتميماً لمعانيها في قوله تعالى﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ليستعيذ الإنسان من شرّ الحسد إذا دخل فيه كونه (محسود)، فيحقق (الدال) بشدة صفته الصوتية معاني (الحسدّ) المؤثر بشدته على المحسود، وفي (الدال) عودة إلى الحلق أيضاً من الداخل، فالشر على تفشي الشين وتكرار الراء،يعمم وينتشر داخل نفس المحسود فيستعاذ من شرّه، لأنّه ضارّ من قول وفعل، ويستصلح بدنه بالرقيّة من ذلك.

وقد حقق الظرف ﴿إِذَا﴾ معنى الحسد المؤثر، فلا يكون الحاسد ضارّاً إلاّ إذا حسد، أي دخل الحسد قلبه فكان ثابتاً فيه متمكناً من الاتصاف به[3]، فيكون السياق مخصوصاً بالاستعاذة من الحسد المؤثر في المحسود، فيفلق الإنسان عن النعمة والخير اللّذين كانا فيه، وهذا ما أعربت عنه بداية السورة فشمل النظم دلالة الآيات عودة إلى سياق السورة ككل.

وقد ناسبت صيغة (فَعَل) ﴿حَسَدَ﴾ لتختم بها الآيات بصيغة فتح ورقية من كل شرّ، والتحرز من ذلك ديناً ودنيا، فضلاً عن أنّ مقاطع (أعوذ) الصوتية كلها مفتوحة، توحي وتطمئن المستعيذ بأن الطريق مفتوح لطلب الاستعاذة[4]، وهكذا نجد شدة عناية القرآن بفواصله، إذ جاءت نهاية الآيتين الأخيرتين من (سورة الفلق) منتهية بفاصلة (الدال) لتتناسب مع الشدة والقوة في الأمر، من شرّ الأشرار في النفث المضرّ والحسد، وختمت على وجه الخصوص بـ (الحسد) ليعلم أنه أشد وأشر، وهو أول ذنب عصى الله به في السماء من إبليس وفي الأرض من قابيل[5]، وختم القرآن بـ (المعوذتين) للتحصن من شرّ كل

(1) فقه اللغة العربية: 439.

(2) جوانب تطبيقية لنظرية النظم الصوتي في الدلالة القرآنية، مؤيد عليوي، مقالة من الشبكة الدولية للمعلومات.

(3) نظم الدرر، للبقاعي: 8 / 606.

(4) فتح البيان في مقاصد القرآن: 7 / 514.

(5) بنية السورة القرآنية الواحدة في جزء عم برواية حفص عن عاصم . دراسة صوتية، عزة أحمد عدنان، أطروحة دكتوراه، مقدمة إلى كلية الآداب / قسم اللغة العربية / جامعة الموصل: 317.

كل كيد وحسد، وتستوقف القارئ بأن يلتجئ إلى حمى الرحمن، ويستعيذ بآيات الله من شر الأشرار.

والنظم الصوتي في هذه السورة تناسب مع نظم الآيات وتركيبها وتآلف أصواتها، فتوزعت فيه الأصوات شدةً ولیناً، جهراً وهمساً، فبرز فيها الإيقاع القوي؛ لأنّ نسبة الأصوات فيها ذات الجرس القوي غالبة جداً فـ(القاف) و(الباء) و(الدال) من الأصوات الشديدة والمجهورة والقوية، تناسبت مع معاني الآيات وأغراضها والهدف المقصود منها وفيما تريد إثارته للمخاطبين وفق مقام الخطاب، فراعت في مقصود أهدافها المكّية التوعد والتهديد لكيد الكائدين وحسد الحاسدين، وناسبت إيقاعاتها الصوتية علواً وشدةً معاني الآيات فيها.

وللتكرار أثره التركيبي في إثارة انتباه المخاطبين لِما يواجههم من شرور، والالتجاء إلى الله للتحصن من ذلك، فشملت السورة العظيمة جميع أنواع الشرور فأمرتنا وعلّمتنا الاستعاذة منها.

وهكذا نجد أنّ ظاهرة الإيقاع في السورة بدأ توافقياً بحرف الروي (القاف)،مع تماثل فواصله، وانتهى مغايراً لتلك الفاصلة بحرف (الباء) منبهاً الفكر إلى معنى جديد، ثم ختم بفاصلة أخيرة هي حرف (الدال)، وهذه الفواصل تنتمي إلى مجموعة صوتية واحدة هي (الشديدة)، وقد تدرجت شدتها من حيث القوة حسب ما يقتضيه السياق فكان أعلاه (الحسد) شدةً بفاصلة (الدال)، وهو فالق كل نعمة بما فيها القران الذي نزل على الرسول الأمين ﷺ، وقد أوكل الله حفظه بدعاء الختم بالمعوذتين والاستعاذة من كل شرّ، فختم بما يطفئ الحسد.

وقد أوحى الإيقاع بخصائصه الموسيقية القصيرة جو التعويذة الملائم للسورة، ودفع الشرّ والمكروه عن الإنسان بكل المضار المصاحب له، وهو بقصر آياته وترنماته، وجهر أصواته فيه تعليم للصغار بأن يلتجأو إلى حمى الرحمن من حفظ آياته والاستعانة بها.

الخاتمة

خاتمة:

توصلت من خلال جمع المادة العلمية في هذا البحث ووصفها وتحليلها إلى جملة من النتائج أبرزها في النقاط الآتية:

- النظم الصوتي هو الأصوات اللغوية التي تنتظم بها الكلمات وتأتلف بها الجُمل في تركيب الآيات.
- إنّ إبراز قواعد التناسب المعنوي بين الآيات يُراعى فيه النظم الصوتي واللفظي حسب مقاصد وأهداف السور وآياتها.
- ومن أوجه التناسب الصوتي في نظم الآيات مراعاة المواقف التي تحمل المعاني والنفسيات والأحوال، فيتناسب الصوت مع طبيعة المخاطبين وأحوال المستمعين.
- وقد أكدت الأصوات بجهريتها ومن بينها (القاف) أنها من مواطن القوة في الآيات حسب المواقف، فأعطيت الحروف حقّها من الإشباع بما يؤكد انسجام الشكل مع المضمون.
- ومن إعجاز القرآن في نظمه الصوتي خصائص أصواته الموسيقية، وتساوق الحروف على أصول يُراعى فيها نظم الآيات همساً وجهراً وقلقلة ومدّاً، واختلاف ذلك بسطاً وإيجازاً، وإفرادا، وتكراراً.
- ومن تناسب الفواصل واختيار الألفاظ في السورة غلبة صفة القلقلة على حروف أصواتها منسجماً مع مقام السورة وجو التعويذة المصاحب للإنسان في كل الأمور والأحوال كما تصاحب القلقلة أصواتها كصفة لها.
- وقد حقق النظم الصوتي في السورة تناسب الصيغ مع مدلولاتها واختيار الحركات خفةً وثقلاً بما يتناسب مع المعاني والأغراض، وقد غلبت على السورة صيغة (فَعَلَ) وهي في معنى الخفة وفتح الطريق لكل مستعيذ.
- وللإيقاع في السورة المكية دوره في تماثل حروف الروي، واختلافها تناسباً توافقياً وتجانسياً رُوعي فيه نغمات الترتيل التي تسترعي الأسماع وتثير الانتباه، وتحرك النفوس نحو الحفظ والقراءة، وقد حقق التكرار في نغماته سمة الإقناع في تركيز الرأي والعقيدة.
- لقد بلغ جمال النظم الصوتي الذروة في إعجاز القرآن في رصف حروفه وترتيب كلماته ما أنبأ عنها النسج الداخلي للآيات وأعرب عن تناسب الصوت واللفظ والإيقاع بما يتلاءم لفظا ومعنى.

الملخص

الملخص باللغة العربية:

يتمثل أثر المستوى الصوتي في آيات القرآن الكريم، السور القصيرة، في إعطاء الآية جرساً موسيقياً مناسباً حيث تتوافق الآيات بين بعضها البعض في الفاصلة.

ولا تقتصر الفواصل القرآنية على نسق الإيقاع وانسجام النغم وإنما تضاف إليه الأغراض البلاغية، والمعاني الخفية والقوية، ولها نغمات نفسية ومعنوية، وإيقاع يعطي الانسان روحاً أكثر عمقا، ويحس عندها بمتعة فنية مؤثرة تبث في الفؤاد الطمأنينة والارتياح، وأبرز ظواهرها الصوتية في الخطاب القرآني هي: ألف الإطلاق وهاء السكت، الهاء وحذف ياء المتكلم، وحذف آخر حرف العلة والتقديم والتأخير والانتقال من فاصلة إلى أخرى.

Abstact :

The effect of the vocal level in the verses of the Quran, the short verses, is to give the verse an appropriate musical verse where the verses correspond to each other in the verses.

The Quranic passages are not limited to the rhythm and harmony of the melody, but are added to the rhetorical purposes, the hidden and powerful meanings, and the psychological and moral tones, and the rhythm gives the soul a deeper spirit, and then feel the pleasure of artistic influence in the heart of reassurance and satisfaction, and highlight the most vocal phenomena in the Curanic discourse are: Hae-silence, and deletion of Yae-speaker, delete the last vowel, submission, delay and transition from comma to the other.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع:

1-**أنيس** إبراهيم ، موسيقى الشعر مكتبة انجلو المصرية، القاهرة ط2، 1952،

2-**البخاري:** صحيح البخاري ، دار النهضة. بيروت

3-ابن **الجزري**، النشر دار الكتب العلمية بيروت لبنان

4-ابن **جني:** الخصائص. دار المعارف. مصر. (دت) (دط)

5-**الحسناوي** محمد ، الفاصلة في القرآن، دار عمار، الأردن ط2، 1403هـ

6-أبو **حيان** الأندلسي، البحر المحيط البحر المحيط، دار الفكر بيروت 1992

7-**الخفاجي** (ابن سنان): سر الفصاحة، شرح وتحقيق: عبد المتعال الصعيدي، مطبعة محمد صبيح وأولاده، القاهرة، ط1 1969

8-**الرماني** (أبو الحسن علي بن عيسى): النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن. تحقيق: محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام. دار المعارف، مصر، 1968م

9-أبو **زرعة**، حجة القراءات. تحقيق: سعيد الأفغاني مؤسسة الرسالة بيروت لبنان 1393هـ

10-**سعد** محمد، التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية، مكتبة الآداب القاهرة مصر، ط1 ، 1418هـ

11-**الدوسري** محمود: عظمة القرآن الكريم. دار الرائد، السعودية.

12-**السعدي:** تفسير السعدي، دار المعارف، مصر

13-أبو **السعود**، إرشاد العقل السليم، دار إحياء التراث العربي بيروت

14-**السيوطي:** الإتقان في علوم القرآن. دار المعارف، مصر ج:2

15- بنت **الشاطىء** (عائشة عبد الرحمان): التفسير البياني للقرآن الكريم. دار المعارف بمصر، القاهرة، ط:1، 1998م، ج:1

16- **الفراهيدي (الخليل)**، العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، بغداد، 1981

17- **فرشوخ:** المدخل إلى علوم القرآن والعلوم الإسلامية. دار العلوم.

18- **القيسي** مكي ، الكشف عن وجوه القراءات، تحقيق: محي الدين رمضان مؤسسة الرسالة بيروت 1394هـ، ط2، 1993

19- **اللطيف** عبد الكريم ، معجم القراءات دار سعد الدين، سورية، ط1، 2002

20- **مختار** أحمد عمر ، لغة القرآن وثيقة فنية، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، ط3، 1418هـ.

21- **مختار** أحمد عمر ، معجم القراءات، عالم الكتب بيروت 1982

22- **مزهود** (سليم): الخطاب القرآني في النص القرآني، البنية والأبعاد الدلالية. أطروحة دكتوراه، (غير منشورة) كلية الآداب واللغات، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة، نوفمبر 2016

23- **مسلم** مصطفى ، مباحث في إعجاز القرآن، دار مسلم، الرياض، ط2، 1416هـ

24- **مسلم:** صحيح مسلم ، دار النهضة بيورت

25- ابن **منظور**: لسان العرب، دار صادر، لبنان، ط:1، 2002

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات:

التبويب	الموضوعات	الصفحة
مقدمة	**مقدمة**	**أ–ب**
الفصل الأول	**القرآن الكريم، تعريفه وفضائله وأثره على النفس الإنسانية**	**1**
	تعريف القرآن لغة واصطلاحًا :	2
	فضائل تعلم القرآن وتعليمه :	2
	أثر الإيمان الصادق بدلالة آيات القرآن:	4
	أثر القرآن الكريم على النفس الإنسانية:	8
الفصل الثاني	**جمال الفاصلة القرآنية في قصار السور**	**11**
	الإعجاز القرآني في الفاصلة:	12
	مصطلح الفاصلة في القرآن الكريم	14
	الفاصلة في ضوء نماذج قرآنية	20
	نموذج التحليل الصوتي لقصار السور؛ سورة الفلق نموذجا:	28
الخاتمة	**الخاتمة**	**39**
الملخص	**الملخص**	**41**
المراجع	**المصادر والمراجع**	**43**
الفهرس	**فهرس الموضوعات**	**47**